للنساء
٦٢ وصية
من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

معتز محمد هاشم الجعبري

دار عالم الثقافة

الطبعة الأولى

2003-1423هـ

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2002/8/1977)

263.4

الجعبري، معتز محمد

62 وصية للنساء من وصايا الرسول عليه السلام / معتز محمد
الجعبري ._عمان : دار عالم الثقافة ، 2002

( ) ص

ر.إ.: 2002/7/1902

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر 2002/8/1837

الموا صفات : /الإسلام/المرأة المسلمة/السيرة النبوية/ الثقافة الإسلامية / الآداب الإسلامي /

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

البريد الاكتروني : alamthaqafa@hotmail.com

حقوق الطبع محفوظة :

دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي – عمارة جوهرة القدس

تلفاكس 4613465 – ص.ب 927426 – الرمز البريدي 11190 عمان / الأردن

All rights reserved . No part of this book may be reproduced , transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher .

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

إهـــــداء

إلى من سكنت نفسي إليها

إلى عزيزة النفس وحيية القلب

إلى عفيفة اليد واللسان

إلى التي لم أبت ليلة عليها غضبان

إلى زوجتي نسرين أكرم الشريف، أهدي حبي وعملي هذا....

على أمل أن تخالط وصايا نبيها محمد ﷺ قلبها، فيكتبها الله في الذاكرات

معتز محمد هاشم الجعبري

٦٢ وصية للنساء
من وصايا الرسول ﷺ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلاة الله وسلامه عليه وعلى آل بيته الأطهار وصحبه الأبرار وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون"

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي يتساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا"

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً".

فقد رمى أهل الكفر والباطل سهامهم تجاه أمة الإسلام، وتقصدوا إصابة المرأة المسلمة بالذات بسهامهم الآثمة، لأنهم يعلمون أن إصابة المرأة تعني بالضرورة إصابة كبد الأمة، فهي الوالدة والمرضع لأطفالها كل القيم والمفاهيم. وفسادها يعني بالضرورة فساد المجتمع بأسره.

ولا عاصم ولا ملاذ في هذا البحر المتلاطم من الظلمات إلا بالأخذ بهدي المصطفى ﷺ وإرشاداته ووصاياه.

لقد عمدت في هذا الكتاب إلى جمع بعض فتاوى وإرشادات ووصايا الرسول ﷺ التي تخص المرأة، ومع أن الفتاوى شيء والوصايا شيء آخر، كون الفتوى تتعلق بالأحكام الفقهية، والوصية غالباً تتعلق بالآداب وفضائل الأعمال لكنني غلّبت اسم الوصايا على الفتاوى من باب تغليب بعض الكلام على بعضه في لغة العرب.

وقضية أخرى لابد من بيانها والتأكيد عليها مع أنها من البدهيات بالنسبة لكل مسلم ومسلمة وهو أن غالب الأحكام الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ الفعلية والقولية التي خاطب فيها الرجال تشمل المرأة المسلمة، لكني قصدت في

إعداد المادة وجمعها ذكر وصايا خاطب بها الرسول صلى الله عليها وسلم المرأة، وفتاوى أجاب بها على استفسارات من النساء.

وقد وجهت خطابي في بيان الأحاديث وشرحها للمرأة، وتركت ما يتعلق فيها بالرجال، وليس ذلك بسبب أني لا أرى أمامي إلا تقصير النساء وحاجتهن للنصح والإرشاد، بل إن الرجال كأصحاب بيوت ورعاة لها هم أشد حاجة وأعظم مسؤولية أمام الله، لكني التزمت بعنوان الكتاب.

ويبقى عموم الخطاب الشرعي واستغراقه النساء والرجال هو الأصل يقول الله تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياءُ بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم". (التوبة: 71). ويقول أيضاً: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض..." (آل عمران: 195).

وأخيراً فإني حرصت في معظم الأحيان عند ذكر الأحاديث النبوية الشريفة أن أبين المفردات الغريبة على أفهامنا المعاصرة مباشرة بعد ورودها ضمن الحديث ليسهل على القارىء الكريم الانسجام في قراءته وفهمه للحديث وجعلت تبييني لغريب الحديث بين قوسين ( ) تمييزاً لكلامي عن الحديث.

أسأل الله أن يقبل مني عملي هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني أنا وأهلي وكل قارىء كريم بما فيه. والحمد لله رب العالمين

معتز محمد هاشم الجعبري
هاتف خلوي : 926916 - 077
العنوان البريدي: الأردن - عمان
الرمز البريدي 11124 – ص . ب 240779
البريد الإلكتروني:
m-jaabari@hotmail.com

الرسول يوصي المرأة بزوجها خيرا

لا أضيف جديداً عندما أقول أن الأسرة وحدة بناء المجتمع تماماً كما أن الخلية الحية هي وحدة بناء الجسد، وأن حالة ووضع هذه الوحدة ينعكس على مجمل البناء صلاحاً أو فساداً.

ولعل هذا ما يفسر أن الكثير من وصايا الرسول ﷺ للنساء تتصل بعلاقتهن بأزواجهن، ذلك أن صلاح البيت المسلم الذي يمثل الزوجان ركنيه الركينين ينعكس حتماً على صلاح المجتمع بأسره.

لقد تنوعت أحكام وإرشادات النبي ﷺ للنساء بخصوص أزواجهن، لكن الخيط الذي ينظمها جميعاً هو حرص الرسول ﷺ على صلاح الدين والدنيا في بيوت المسلمين وبالتالي قوة مجتمعهم وأمتهم.

في الصفحات القادمة نتفيأ مع أخواتنا المسلمات ظلالاً وارفةً من هدي محمد ﷺ ووصاياه للمرأة المسلمة في حق زوجها.....

الوصية الأولى

أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟

قد يُـظَـنُ أن أعظم الناس حقاً بالنسبة للناس عموماً هن الأمهات والآباء، هذا القول ينطبق على الرجل فأعظم الناس حقاً عليه أبويه خاصة أمه، أما المرأة فقد أجاب الرسول ﷺ بأن أعظم الناس حقاً عليها زوجها، فعن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: "**سألت النبي ﷺ أي الناس أعظم حقاً على المرأة قال: زوجها. قلت: فأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال: أمه**".[1]

لقد أكد الرسول ﷺ عظيم حق الرجل على زوجته بأنه كاد أن يأمرها بالسجود له لولا أن السجود من العبادات التي لا تنبغي لأحد إلا لله عز وجل، فعن قيس بن

---

1 (رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح وأقره الذهبي، ورواه أبوداود – كتاب النكاح – باب حق الزوج على المرأة).

سعد قال: "أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم (هو من الأساقفة أو البطارقة)، فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له. قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك، قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟ قال: قلت: لا. قال: فلا تفعلوا، لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من الحق". (١)

وبهذا فقد بين المصطفى ﷺ عظيم حق الرجل على امرأته، بل هي حقوق كثيرة فرضها الشرع الحنيف على المرأة تجاه زوجها، ولا يصلح دينها ولا يقبل الله أعمالها الأخرى مهما أحسنت فيها ما لم تؤدِ تلك الحقوق، لأن طريق المرأة لمرضاة ربها لا يكون إلا بمرضاة زوجها عنها، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة". (٢)

والسؤال الآن ما هو المطلوب من المرأة تجاه زوجها حتى تؤدي حقه عليها؟ فتلقى السعادة والرضا في الدارين.

الوصية الثانية

أ) عدم الامتناع عن فراشه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح". وفي رواية: "والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها". (٣)

إنه تحذير نبوي من خطورة امتناع المرأة عن فراش زوجها، ووصية لها بأن لا تتلكأ في الاستجابة لزوجها إلا إذا منعتها عبادة مفروضة عن الجماع كصيام رمضان

---

1 (سنن الترمذي – كتاب النكاح – باب ما جاء في حق الزوج على المرأة).

2 (رواه الترمذي – كتاب النكاح – حق الزوج على المرأة).

3 (متفق عليه، رواه البخاري – كتاب النكاح، ورواه مسلم – كتاب النكاح – باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها).

أو الإحرام، وأما إذا كانت معذورة في مرض شديد أو حيض فينبغي أن تستجيب له بقدر ما تسمح به حالتها الصحية، وله أن يستمتع بها وهي حائض في حدود ما سمح الشرع بالتمتع بالمرأة الحائض دون إتيانها، أما إذا دعاها لحرام كأن يأتيها وقت حيضها أو في دبرها فإنها تمتنع عن ذلك لأنه معصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إن امتناع المرأة عن تلبية حاجة زوجها بمثابة تركه فريسة لوحش الرغبة الجامحة، وإلقاءٌ له في أتون مشتعل من الرغبة، بحيث لا يقر له قرار ولا يغمض له جفن فيتقلب على شوك السهاد في الليل، ولا يحسن عملاً في النهار.

إن حاجة الرجل للمرأة تتسم بالقوة والنهم عموماً، وتصبح حاجته للمرأة من أكبر المشوشات عليه في دينه ودنياه إن لم تُـشبع على النحو الذي شرعه الله، وهذا يفسر وصية الرسول ﷺ للمرأة بتمكين زوجها من قضاء وطره منها مهما كان نوع انشغالها، أو على أي وضع كانت **فعن أبي علي طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور".** (النار التي يخبز فيها الخبز) [1]يؤيد ذلك رواية معاذ رضي الله عنها التي منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "..... **والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب** (أي على ظهر جمل) **لم تمنعه".**

إن كثيراً من النساء يقسن حاجة أزواجهن إلى الجماع على حاجتهن إليه، وهذا قياس خاطىء فحاجة الرجال أشد، وصبرهم على الجماع أضعف، وتأثرهم بمشاهدة النساء أعظم كثيراً من تأثر النساء بمشاهدة الرجال، وحضور المرأة في نفس الرجل أكبر من حضوره في نفسها.

وإذا أضفنا إلى ذلك عموم بلاء التبرج والتعري في زماننا، وفشو الاختلاط في أماكن الدراسة والعمل، والقاذورات التي تلقيها القنوات التلفزيونية ومواقع (الانترنت)،

---

1 (رواه الترمذي – باب ما جاء في حق الزوج على المرأة).

عرفنا مقدار خطورة الأمر، وقوة التيار المنحرف الجارف. وعرفنا التحدي الكبير الذي يقع على الزوجة المسلمة الصالحة الحافظة لزوجها من الفتن التي تحرص على أن يراها دائماً في أبهى صورها وأن يجد عندها من فنون إغرائه ما يصرفه عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن. إن اهتمامها بنظافتها وطيبها وإبراز جمالها وحسن إغرائها له ليعبر عن عمق فهمها وفقهها للوصية النبوية السابقة لأن زوجها سينفر من طلبها إذا كانت مهملة في نفسها، وهو يرى في العمل والأسواق المتبرجات المتعطرات المتزينات ثم لا يجد ذلك عند امرأته.

إن من آفات النساء في مجتمعاتنا المعاصرة أنك تجد المرأة التي لا تلتزم بالحجاب منكوشة الشعر، مبتذلة المظهر في بيتها، في حين أنها تخرج إلى الشارع أو العمل أو عند اجتماع صديقاتها في أتم زينتها، وقد تنشغل المرأة الملتزمة بالحجاب الشرعي في شؤون بيتها أو أولادها عن تزينها لزوجها أو قد يمنعها حيائها - وهو حياء مذموم - من التزين وإظهار صنوف الإغراء لزوجها إذا كبر أولادها أو صار لها أحفاد.

ويقع على المرأة الصالحة التقية عبئ نفسي آخر وهو أن تقبل من زوجها الزواج بأخرى، إن رغب في ذلك وكان يملك من القدرة على الجماع والإنفاق والعدل بين نسائه، إن المرأة الصالحة التي ترضى بأحكام ربها لتطامن مما تظن أنه كبرياء وكرامة، وتتحمل الشعور المنغص بالغيرة الذي جبلت عليه، لأنها بالمقابل تتفهم حاجة زوجها للتعدد، بسبب ميله الفطري للتعدد الذي جُـبل عليه، ولما يعتريها من نقص في إشباع حاجته وقت حملها ونفاسها وحيضها ومرضها، وتتفهم المصلحة الكلية التي ينشدها الإسلام للمجتمع في إباحته لتعدد الزوجات.

إنك لتجد بعض النساء المسلمات يقبلن بأن ينظر أزواجهن إلى ما حرم الله، وأن يقع أزواجهن في المعاصي على أن لا يقدموا على الزواج بأخريات، فإذا خيّرت المرأة منهن بين أن يتزوج زوجها فلا يقع في الإثم وبين أن يأتي المعاصي التي تصل للكبائر سراً على ألا يتزوج لتختار الأمر الثاني حتى لا يخدش بهذا كرامتها وكبريائها

أمام مجتمعها، ولا أشك أن هذا تقديم لرضا نفسها على رضا ربها. وإيثار لانتهاك حرمات الله على كرامتها المزعومة.

آفات في الرجال

وحتى أكون منصفاً في كلامي فإن الرجال يتسببون في نصيب كبير من الخلل الحاصل في العلاقة بزوجاتهن ومظاهر ذلك كثيرة أهمها ضعف الدين.

فضعف إيمان عامة الرجال يقودهم إلى الوقوع في النظر المحرم والإقبال على القنوات الفضائية ومواقع (الإنترنت) البهيمية بما تبثه من سموم ورذائل، وكلما زاد من نظر الرجل إلى الحرام استعرت شهواته أكثر كأنما يلقي مزيداً من الحطب في النار فيقوده ذلك للوقوع في آثام أخرى كالتساهل في الاختلاط والعلاقات المحرمة، وترك الفرائض وتضييع خيرات الآخرة وعدم إقامة القرآن والهدي النبوي في حياته وحياة نسائه وعياله، مما يؤدي للخلل وملازمة الشياطين وكثرة الشر وقلة الخير في البيوت وانتزاع البركة من الحياة.

إن من أهم أسباب السعادة الزوجية وتمتع الزوجين ببعضهما وأن تقر عين الزوج بزوجته، الامتناع عن النظر المحرم، لأنه لا يقود إلا لمزيد من الإثم وتشتت الذهن وازدراء الرجل لزوجته مهما تصنعت له، مما يجعل الصورة التي ذكرنا سابقاً من إعراض الزوجة عن فراش زوجها تنعكس هنا إلى إعراضه هو عن زوجته وإهماله لحاجتها إليه، مما يجعل حياتها مليئة بالاضطراب والتعاسة وإذا لم يعصمها دينها ويردها يقينها بالله فقد تقع في الإثم والشبهات. وإني أدعو كل رجل مسلم راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيته أن يكف عن ملابسة الآثام التي تورثه وتورث بيته التعاسة ولا شك، وليضع نصب عينيه الثمرات المرة للمعاصي، والثمرات الطيبة في الدارين للانتهاء عنها، قال الله عزوجل:﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ (النور: 30) وفيما روى حذيفة رضي الله عنه

عن النبي ﷺ أنه قال: "**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها مخافة من الله أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها في قلبه**" (١)

الوصية الثالثة

ب) استئذان زوجها قبل أن تصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه". (٢)

يرشد الحديث الشريف إلى حكم وثيق الصلة بعدم جواز امتناع المرأة عن فراش زوجها ألا وهو عدم صيامها تطوعاً وزوجها شاهد إلا أن تستأذنه، لأن حقه في الاستمتاع بها مقدم على تطوعها.

وبالتالي فينبغي على المسلمة ألا تشعر بضيق أو حرج أو شعور بالتفريط عند ترك بعض النوافل من صيام أو صلاة تلبية لرغبة وحاجة زوجها، ولتعلم أن تلبيتها لحاجة زوجها قربة وطاعة يحبها الله ويقبلها منها لا تقل عن تنفلها بل هي أوجب وآكد، وأن الله واسع عليم شكور يطلع على صدق نيتها في أداء النوافل وأنه لم يمنعها من ذلك إلا طاعة الزوج فيثيبها عليها كأنما فعلتها، وييسر لها فعل الخيرات والتقرب بالطاعات.

الوصية الرابعة

د) لا تخرج إلا بإذنه

روى الطبراني أن رجلا خرج وأمر امرأته أن لا تخرج من بيتها فمرض أبوها. فاستأذنت النبي ﷺ فقال لها: "أطيعي زوجك فمات أبوها فاستأذنت منه في حضور

---

1 (أخرجه الحاكم، والحديث في رواته ضعفاء).

2 (البخاري – كتاب النكاح – باب لا تأذن المرأة، مسلم – كتاب الزكاة – باب ما أنفق العبد).

جنازته فقال لها: أطيعي زوجك"، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم: "أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها".

أما إذا علمت المرأة من زوجها رضاه بخروجها لزيارة والديها أو أرحامها، بسكوته الذي يعني الإذن بذلك، أو أن يكون قد عوّدها زيارة والديها في وقت معين، فلا بأس والأفضل أن تعلمه بذلك، لما في ذلك من طمأنينة له ولإشعاره بأنه هو صاحب الشأن وأن الخروج مرهون بإذنه.

ربما يظن البعض أن في ذلك تقييد لحرية المرأة وتشديد عليها وحبس لها، والأمر غير ذلك تماماً، إن الأمر لا يعدو أن الأسرة سفينة لابد من قيادتها وقد تكون قرارات القيادة تحتاج لمشاورة من هم على ظهر السفينة لكن في النهاية لابد من اتخاذ قرار يلزم الجميع إذا اختلفت الآراء، وجعل الله القيادة للزوج ليس تشريفاً له بل تكليفاً يحاسب عليه لأن الله عزوجل لا يحابي الرجل على حساب المرأة (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

وأجد من المناسب هنا وقبل المضي قدماً في الكتاب أو أوضح بعض التوضيحات الهامة في شأن قوامة الرجل على المرأة ورجوعها في أمورها إليه أن انقل بتصرف من تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب رحمه الله، في تفسيره قول الله عزوجل : ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله. . .﴾ (النساء: 34)

يقول رحمه الله: "إن هذا النص في سبيل تنظيم المؤسسة الزوجية وتوضيح الاختصاصات فيها لمنع الاحتكاك بين أفرادها، بردهم جميعاً إلى حكم الله لا حكم الهوى والانفعالات، يحدد النص أن القوامة في هذه المؤسسة للرجل ويذكر من أسباب هذه القوامة: تفضيل الله للرجل بمقومات القوامة، وما تتطلبه من خصائص ودربة، وتكليف الرجل الإنفاق على المؤسسة.

إن الأسرة هي المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية. الأولى من ناحية أنها نقطة البدء التي تؤثر في كل مراحل الطريق، والأولى من ناحية الأهمية لأنها تزاول إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، وهو أكرم عناصر هذا الكون.

وإذا كانت المؤسسات الأخرى الأقل شأناً والأرخص سعراً كالمؤسسات المالية والصناعية والتجارية لا يوكل أمرها إلا لأكفأ المرشحين لها، ممن تخصصوا في هذا الفرع علمياً، ودربوا عليه عملياً، فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعية للإدارة والقوامة....

إذا كان هذا هو الشأن في المؤسسات الأقل شأنا والأرخص سعراً.. فأولى أن تتبع هذه القاعدة في مؤسسة الأسرة، التي تنشىء أثمن عناصر الكون.... العنصر الإنساني.

وقد جعل الله عزوجل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل، وهي وظائف ضخمة أولاً وخطيرة ثانياً, وليست هينة ولا يسيرة، بحيث تؤدى بدون إعداد عضوي ونفسي وعقلي عميق غائر في كيان الأنثى، فكان عدلاً كذلك أن ينوط بالشطر الثاني – الرجل – توفير الحاجات الضرورية. وتوفير الحماية كذلك للأنثى، كي تتفرغ لوظيفتها الخطيرة.... وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه...

ومن ثم زودت المرأة بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة بغير وعي ولا سابق تفكير لأن الضرورات الإنسانية العميقة كلها حتى في الفرد الواحد لم تُترك لأرجحة الوعي والتفكير وبطئه، بل جعلت الاستجابة لها غير إرادية لتسهل تلبيتها فوراً وفيما يشبه أن يكون قسراً ولكنه قسر داخلي غير مفروض من الخارج، ولذيذ ومستحب في معظم الأحيان كذلك، لتكون الاستجابة سريعة من جهة ومريحة من جهة أخرى مهما يكن فيها من المشقة والتضحية.

وكذلك زود الرجل فيما زود به من الخصائص بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة. لأن وظائفه

كلها من أول الصيد الذي كان يمارسه في أول عهده بالحياة إلى القتال الذي يمارسه دائماً لحماية الزوج والأطفال. إلى تدبير المعاش, إلى سائر تكاليفه في الحياة.. لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام، وإعمال الفكر، والبطء في الاستجابة بوجه عام!

وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة، وأفضل في مجالها.. كما أن تكليفه بالإنفاق يجعله بدوره أولى بالقوامة، لأن تدبير المعاش للمؤسسة ومن فيها داخل في هذه القوامة، والإشراف على تصريف المال فيها أقرب إلى طبيعة وظيفته فيها..

إذا هي قوامة لها أسبابها من التكوين والاستعداد ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات ولها أسبابها من العدالة في التوزيع من ناحية، وتكليف كل شطر بالجانب الميسر له.

ولكن ينبغي أن نقول: إن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء وضعها المدني وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها". [١]

الوصية الخامسة

هـ) رعاية الزوج وبيته

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته" [٢]

تثير وصية الرسول ﷺ في الحديث السابق للنساء السؤال التالي:

هل ما تؤديه المرأة في بيت زوجها عادة من خدمة له بإعداد الطعام وتجهيزه وغسل الثياب وكيها وأعمال التنظيف والترتيب، هل الأعمال السابقة واجبة في حقها

---

1 (في ظلال القرآن – ج 2 ص649 وما بعدها).

2 (متفق عليه رواه البخاري في كتاب النكاح، وورواه مسلم في كتاب الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل).

وتدخل ضمن الأعمال التي استرعاها الله عليها وكلفها بها ويسألها ويحاسبها عليها، أم أنها تفعل ذلك تطوعاً ونزولاً على عرف جرى الناس عليه؟

قبل الإجابة على السؤال السابق وترجيح أحد الأمرين، أورد ثلاثة أحاديث نفهم من خلالها هذا الأمر...

أما الأول فعن ريحانة رسول الله ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها وأرضاها...

"قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونضعه على الناضح (هي الدابة التي يستقى عليها) بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها". [١]

وعنه أيضاً: أن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله ﷺ أتي بسبي (رقيق) فأتته تسأله خادماً فلم توافقه (فلم تجده)، فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال:"على مكانكما" فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال:" ألا أدلكما على خير مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أتيتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم". [٢]

وقد حكم رسول الله صل الله عليه وسلم بين علي بن أبي طالب وبين فاطمة رضي الله عنهما، فجعل على فاطمة خدمة البيت ، وجعل على علي العمل والكسب.[٣]

ولقد جرت رضي الله عنها بالرحاء (الرحى أداة تطحن بها الحبوب) حتى أثرت في يدها الشريفة، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمَّـت (أي كنست البيت) حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست (أي وسخت) ثيابها الطاهرة.

---

1 (البخاري ومسلم).

2 (أخرجه البخاري ومسلم).

3 (فقه السنة مجلد 2 ص 148).

وأما الثاني فعن بنت الصديق أسماء رضي الله عنهما قالت: "تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح (هو الجمل الذي يحمل عليه ماء السقي) وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه (أخيط دلوه) وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير، التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ (الفرسخ يساوي ثلاثة أميال)، فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، فدعاني، ثم قال: إخ إخ، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك, فقال: والله لحملك النوى كان أشد من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليّ أبوبكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني" (١)

وأما الحديث الثالث في هذا الباب فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أن رجلاً أمر امرأته أن تنقل من جبل أحمر إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل أحمر لكان نولها أن تفعل". (٢)

بعد استعراض الأحاديث السابقة أقول وبالله التوفيق: ذهب الجمهور أنه ليس على المرأة خدمة زوجها من العجن والخبز والطبخ ونحو ذلك لأن المعقود عليه من جهتها هو الاستمتاع فلا يلزمها ما سواه.

يقول الإمام النووي في بيان معنى حديث أسماء: "هذا كله من المعروف والمروءات التي أطبق الناس عليها، وهو أن المرأة تخدم زوجها بهذه الأمور المذكورة ونحوها من الخبز والطبخ وغسل الثياب، وغير ذلك، وكله تبرع من المرأة وإحسان منها إلى زوجها، وحسن معاشرة، وفعل معروف معه، ولا يجب عليها شيء

---

1 (صحيح مسلم)

2 (أحمد وابن ماجة 1852/595/1).

من ذلك، بل لو امتنعت من جميع هذا لم تأثم، ويلزمه هو تحصيل هذه الأمور لها، ولا يحل له إلزامها بشيء من هذا، وإنما تفعله المرأة تبرعاً وهي عادة جميلة استمر عليها النساء من الزمن الأول.. وإنما الواجب على المرأة شيئان تمكينها زوجها من نفسها، وملازمة بيته". (١)

ويذهب ابن قدامه المقدسي لما ذهب إليه النووي حيث قال: "وليس على المرأة خدمة زوجها من العجن والخبز والطبخ وأشباهه نص عليه أحمد... ولنا أن المعقود عليه من جهتها الاستمتاع فلا يلزمها غيره كسقي دوابه وحصاد زرعه. فأما قسم النبي ﷺ بين علي وفاطمة رضي الله عنهما فعلى ما تليق به الأخلاق المرضية ومجرى العادة، لا على سبيل الإيجاب، وأما فعل أسماء فلم يكن واجباً عليها، ولهذا لا يجب على الزوجة القيام بمصالح خارج البيت... ولكن الأولى لها فعل ما جرت العادة بقيامها به، لأنه العادة ولا تصلح الحال إلا به ولا تنتظم المعيشة بدونه". (٢)

وأما الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله فله رأي آخر عند ذكره لزوم خدمة الزوجة زوجها فيقول: "هذا أمر لا ريب فيه ولا يمنع التفريق بين شريفة ودنيئة، وفقيرة وغنية، فهذه أشرف نساء العالمين كانت تخدم زوجها" يقصد بذلك فاطمة رضي الله عنها وأرضاها.

ويؤيد قول ابن قيم الجوزية فريق آخر من العلماء (أبوبكر بن أبي شيبة وأبوإسحاق الجوزجاني) "أن عليها ذلك واحتجا بقصة علي وفاطمة، فإن النبي ﷺ قضى على ابنته فاطمة بخدمة البيت وعلى علي ما كان خارجاً من البيت من عمل".

وقد علق الجوزجاني على حديث عائشة رضي الله عنها قال: "فهذا طاعته فيما لا منفعة فيه (نقل الجبل الأحمر أو الأسود) فكيف بمؤنة معاشه؟ وقد كان النبي ﷺ يأمر نساءه بخدمته، فيقول: يا عائشة اسقينا، يا عائشة أطعمينا، يا عائشة هلمي بالشفرة، واشحذيها بحجر".(٣)

---

1 (شرح صحيح مسلم للنووي – 164/14).

2 (المغني لابن قدامة 130/8-131).

3 من كتاب (نظرات في السنة ..قضايا تهم المرأة ، حجازي إبراهيم ، بتصرف . ص 15 وما بعدها.

مما سبق نعلم أن أهل العلم انقسموا إلى فريقين في هذا الأمر فالجمهور يرى أن خدمة المرأة لزوجها وأولاده أمر مستحسن جرت العادة والعرف عليه، ولكنه تبرع وإحسان منها ومحافظة على صلاح بيتها، وليس على الزوج أن يلزمها بشيء من ذلك.

وأما الفريق الآخر من أهل العلم فيرى أن رعاية المرأة لبيت زوجها والقيام على شؤون إصلاحه واجب في حقها وأن هذا حكم الرسول ﷺ إذ قضى على ابنته فاطمة رضي الله عنها بخدمه البيت وقضى على علي رضي الله عنه بما كان خارج البيت.

وأجدني ميالاً لترجيح الرأي الثاني، وإن لم يشتمل عقد النكاح بين الزوجين على هذا الأمر فإن روح عقد الزواج يقصد منها إقامة بيت على هدى وخير وسكينة وصلاح في الدين والدنيا ولا يكون ذلك إلا بقيام الزوجة على شؤون بيتها وإصلاحه وخدمة زوجها وولدها لأنها هي الوحيدة القادرة على القيام بذلك أحسن قيام، وأظن أن هذا من ضمن ما استرعاها الله عليه في قول نبيه ﷺ "**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**".

ثم إن اهتمامها بإصلاح شأن زوجها وأولادها يتناغم تماماً مع الفطرة التي فطر الله نساء العالم جميعاً عليها من الاهتمام بالطهي والتنظيف والترتيب ورعاية الولد.

الوصية السادسة

و) عدم إيذاء المرأة زوجها

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله! فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**" (١)

وللأذى أشكال كثيرة جداً كالنشوز والعصيان، وإيذاء من يحب ويجب عليه برهم كوالديه وولده وأرحامه، وكثرة المراء والجدال، والتعيير بالفقر، والسب والغيبة،

1 (الترمذي – آخر كتاب الرضاع، وابن ماجه – كتاب النكاح – باب في المرأة تؤذي زوجها).

وعدم حفظ عهده وسره...، وبالجملة فكل ما من شأنه أن يعكر حياة الزوج ويسبب له التعاسة والأذى فيقع تحت هذا الباب.

الوصية السابعة

ز) عدم نكرانها خيره

عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن. قيل أيكفرن بالله قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط** ". (١)

إن ذكر المرأة الصالحة لحسنات زوجها وعدم نسيان الفضل بينهما، من صفات الصلاح وقوة الدين ويظهر ذلك في حضور الزوج وغيابه على السواء، بل المحك يكون أشد في غيابه، حيث تتساهل كثير من النساء إذا اجتمعن سوية أن يغتبن أزواجهن، ويذكرونهم بما يكرهونه.

الوصية الثامنة

ح) حفظ الزوج في الغيب

روى ابن جرير الطبري بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك**"، وفي رواية : ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله عزوجل ﴿... فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله...﴾ (النساء: 34).

وفي رواية مسلم عن عبدالله بن عمرو: " **الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في عرضها ومالها**". (٢)

---

1 (البخاري – كتاب الإيمان – باب كفران العشير وكفر دون كفر).

2 (رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو).

قال القاسمي رحمه الله في تفسيره (ري الغليل من محاسن التأويل) قانتات: أي مطيعات لله في حق أزواجهن، وحافظات للغيب بما حفظ الله: أي يحفظن حقوق أزواجهن في حضورهم وغيابهم. وأما سيد قطب رحمه الله فيذهب لإيحاء لفظ (قانتات) وإيحائه فيقول: "القنوت هو الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت... ومن ثم قال (قانتات) ولم يقل (طائعات)... وأما الحفظ فهو من طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها... أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته – وبالأولى في حضوره – (وذلك ليس خوفاً من زوجها أو المجتمع بل طاعة لله والتزاماً بما أمر الله) وهذا معنى "بما حفظ الله". [١]

وهكذا فإن الإطار العام الذي يحوي واجبات المرأة تجاه زوجها، وحقوقه عليها التي أسلفنا الحديث عنها هو إطار عبودية لله والرغبة إليه والرجاء في ثوابه، والخوف من عقابه، لا مهابة من زوجها فتلتزم بتلك الواجبات في حضوره، فإذا غاب تنكرت له وخانته في نفسها وماله وأطلقت لسانها عليه بالسوء. فالمرأة الصالحة تتعبد الله بأداء حقوق زوجها، وتعلم أن طاعتها له، وحفظها له في نفسها وماله وعهودهما وأسرارها وحفظ بيته وولده في الغيب والشهادة، وصبرها على عيوبه، وإحسانها إليه، هو جسرها الذي تعبر به لجنات الله ورضوانه.

الوصية التاسعة

حسن تبعل المرأة يعدل جهاد الرجل

أتت أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: إني رسولُ مَنْ ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي: إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات، مخدرات، قواعد بيوت، وإن الرجال فُضلوا بالجُمُعَات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم. أفنشاركهم الأجر يارسول الله؟

1 (بتصرف من تفسير في ظلال القرآن – ج 2 ص652).

فالتفت ﷺ إلى أصحابه فقال: "**هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها؟**" فقالوا: بلى يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم: "**انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حُسْنَ تبعّـــل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال**". [١]

الوصية العاشرة

أجر المرأة إذا تصدقت على زوجها

عن زينب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وعنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تصدقن يا معشر النساء ولو من حُـليِّـكن**"، قالت: فرجعت إلى عبدالله بن مسعود فقلت له: إنك رجل خفيف ذات اليد (كناية عن قلة ماله)، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فأسأله فإن كان ذلك يجزىء عني، وإلا صرفتها إلى غيركم, فقال عبدالله: بل ائتيه أنت، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة (الهيبة والإجلال)، قالت فخرج علينا بلال، فقلنا له: إئتِ رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما؟ وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن. فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ من هما؟ قال: امرأة من الأنصار وزينب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبدالله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة**". [٢]

أرشد الرسول ﷺ النساء في وصيته الأولى "**تصدقن يا معشر النساء ولو من حُـليِّـكن**" إلى أهمية تصدق النساء حتى لو اقتضى الأمر أن تنفق المرأة في سبيل الله من حليّها وما تتزين به من الذهب وغيره، إنها بذلك تتقي أهوال يوم القيامة

---

1 (أخرجه الإمام أحمد وغيره).

2 (متفق عليه – صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب الزكاة على الزوج والأيتام، وصحيح مسلم – كتاب الزكاة – باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين).

والوقوف والمسائلة بين يدي الديّان، وتجعل من صدقاتها حجاباً واقياً بينها وبين نار جهنم، أجد ذلك واضحاً في حديث آخر بنفس المعنى يحذر فيه الرسول ﷺ النساء من النار وأنهن من أكثر أهلها ويبين السبيل لتجنب هذا المآل فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **"يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار" قالت امرأة منهن: مالنا أكثر أهل النار قال: "تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن" قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال شهادة امرأتين بشهادة رجل وتمكث الأيام لا تصلي"** رواه مسلم.

وهكذا فإن وصية الرسول ﷺ للنساء بالصدقة لا تتعلق بالنساء العاملات المتكسبات، بل تشمل النساء جميعاً خاصة أن عامة النساء لا يعملن ولا يتكسبن، ومن هنا تبرز قيمة إيثار المرأة الصالحة المؤمنة الآخرة على زخرف الدنيا وزينتها، فرغم ولعها بحليّها وذهبها إلا أنها تضحي به أو بجزء منه خوفاً من يوم عبوس ثقيل ورجاءً في رضوان الله وجنته.

أما إجابة الرسول ﷺ على سؤال الصحابيات الطاهرات المؤمنات في الحديث السابق بقوله: **"لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة"**، فهي فتوى من الصادق المصدوق ﷺ للمرأة بأن خير صدقاتها ما تكون على زوجها الفقير، لأنها بذلك تصيب أمرين: التصدق، وإصلاح شأن الزوج الفقير وتخفيف أعباء الحياة عنه، فيكون لها الأجر مضاعفاً. مصداقاً لقول الله عزوجل الذي قدم فيه نفقة ذوي القربى على غيرهم: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ (البقرة: 21).

وفي هذا السياق لابد من توضيح أمرين في غاية الأهمية متعلقين بطرفي هذا الإنفاق:

بالنسبة للزوج المتلقي لنفقة زوجته فينبغي أن يعي تماماً أن إنفاق زوجته عليه من مالها سواء كان ذلك من مهرها أو حليّها أو ميراثها عن ذويها أو تجارتها أو وظيفتها أو غير ذلك، إنما هو محض إحسان من الزوجة وليس من باب الواجب في

حقها، فهي غير مكلفة بالإنفاق على زوجها أو أولاده. بل الإنفاق عليها وإن كانت غنية واجب عليه يقوم به غير متفضل ولا ممتن به عليها وإن كان مأجوراً عند الله عزوجل.

أسوق هذا التنبيه لأن كثيراً من الأزواج في زماننا يعتبرون ذلك حقاً مكتسبا لهم وواجباً على الزوجة تجاه بيتها، وأن الإنفاق على بيت الزوجية مسؤولية مشتركة، بل إن بعض الأزواج الذين لا يقيمون اعتباراً لكلام الله ورسوله ﷺ ليتصرفون في أموال نسائهم دون الرجوع إليهن ومشاورتهن، أو يكرهونهن على بيع حليهّن التي هي جزء من مهورهن ويعتبرون أن أصل تلك الحلي من أموال الزوج، وهذا بلا شك أكل لمال الزوجة بالباطل. ومخالفة وعصيان لكلام الله القائل في كتابه: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ (النساء: 4). أي أن يعطي الزوج لزوجته مهرها عطاءً عن رضى وعن طيب خاطر فهو حق لها لتمكينه من نفسها وإفضائها إليه، فإن تنازلت هي بملء إرادتها وعن طيب نفس منها لزوجها عن شيء من مهرها فلا بأس أن يأخذه ويتصرف فيه. ووصف الله عزوجل أخذ الرجل من مهر زوجته مهما كان كثيراً مُكْرِهاً له أنه باطل وإثم واضح، قال الله عزوجل: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ (النساء: 20-21)

ولا يتسع المقام هنا لتعقب المخالفات الشرعية التي يوقعها الأب والأخ والزوج في مجتمعاتنا على حقوق المرأة المالية واستقلاليتها التي حباها بها ربها عزوجل.

أما الأمر الثاني الذي ينبغي توضيحه ويتعلق بالمرأة المنفقة على زوجها أو التي تشاركه في الإنفاق على بيت الزوجية، هو عبارة عن وصية ينبغي أن تتحلى بها حتى يثبت الأجر لها عند الله وتحافظ على بيتها ومشاعر زوجها.

ينبغي عليها أن تحذو حذو زينب الثقفية زوج عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما في محافظتها على ود زوجها وحرصها على مشاعره من خلال اختيارها ألطف

الألفاظ والكنايات لما قالت له: (إنك رجل خفيف ذات اليد)، ويظهر أيضا من استئذانها له في أمر إنفاقها عليه قبل أن تشرع في ذلك، وأكثر ما يتضح ذلك في وصيتها لبلال رضي الله عنه (ولا تخبره من نحن) حتى تستر فقر زوجها وحاجته وتحفظ سر بيتها.

إن المرأة الصالحة هي التي تفعل ذلك إرضاءً لله وطلباً للمثوبة عنده قبل طلبها رضاء زوجها، وبالتالي فإنها لا تتبع ما أنفقت بالمن والأذى لزوجها فيضيع عملها هباءً منثوراً في الدارين حيث تخسر زوجها وبيتها، ويحبط عملها عند الله مصداقاً لقول الله عزوجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى. . .﴾ (البقرة: 264).

الوصية الحادية عشرة

ما نقصت صدقة من مال

عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما بقي منها؟" قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: "بقي كلها غير كتفها!"[١]

وعن أسماء بنت أبي بكرالصديق رضي الله عنهما قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا توكي فيوكيَ الله عليك"**. وفي رواية **"أنفقي أو انفحي أو انضحي، ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعيَ الله عليك"** [٢]

في الحديث الأول تصدقت عائشة رضي الله عنها بالشاة كلها وأبقت على كتفها، فبين الرسول ﷺ أن ما ينفعهم يوم القيامة هو ما تصدقت به عائشة وليس الكتف الذي سيأكلون، فإنه فانٍ زائل، أما الصدقة فثوابها باقٍ خالد.

وفي الحديث الثاني فإن الرسول ﷺ يوصي أسماء، لا توكي: أي لا تشددي وتدخري ما عندك وتمنعي ما في يدك، فيقطع الله عليك. ولا توعي: أي تمنعي ما فضل عنك. فيوعي الله عليك: أي يصيبك الله بشدة ويمنع عنك فضله وجوده.

---

1 (رواه الترمذي – كتاب صفة القيامة – باب فضل التصدق، وقال: حديث حسن صحيح).

2 (متفق عليه رواه البخاري في كتاب الزكاة – باب التحريض على الصدقة – ومسلم في كتاب الزكاة – باب الحث على الإنفاق).

إن المطلوب من كل مسلمة صالحة ألا تستكثر ما تنفق في سبيل الله فهو سبيل نجاتها من النار وفوزها برضا الرحمن وجنته، ففي الحديث المتفق علي صحته: "**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار، ولو بشق تمرة**".

ونستفيد من تصدق أمنا عائشة رضي الله عنها بمعظم الشاة فائدة هامة جداً تحتاجها المرأة المسلمة في حياتها ألا وهي جواز إنفاق وتصدق المرأة من مال زوجها ، فلقد روى البخاري ومسلم وغيرهما: "**إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فله نصف أجره**" وفي رواية "**فلها نصف أجرها**". وقد يكون ذلك من خلال ما وهبها هو من مال أو من مصروف بيتها إذا أحسنت تدبيره فبقي معها فضل مال تصدقت به.

وعليها كذلك ألا تحول بين زوجها وبين الزكوات والصدقات خوفاً من فقر لأن الله يقول: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾ (البقرة: 268)، بل ينبغي عليها أن تحذر زوجها من عدم أداء الزكاة لأن ذلك كبيرة من الكبائر، وأن تحمله على الصدقة وتعده بثمارها الطيبة في الدنيا من التزكية والتطهر من الذنوب والبركة في المال والأولاد والمداواة بالصدقات فقد ورد في الأثر "داووا مرضاكم بالصدقات"، وتبشر زوجها بالثواب الباقي والدرجات العالية إن تصدق.

الوصية الثانية عشرة

أجر رعاية المرأة لبناتها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: **جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها (فمها) تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها (طلبت بنتاها التمرة الثالثة)، فشقّت التمرة التي كانت تريد أن**

تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار" [١]

في رواية أخرى عقّب الرسول ﷺ على ذلك فقال: "**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُـنّ له ستراً من النار**". ولعل تخصيص رعاية البنات في الحديثين السابقين لأن العرب كانوا يكرهون البنات، ويصل الأمر لوأدهن، فجاء الإسلام فأنصفهن، وجعل حسن تربية البنات والإنفاق عليهن سبباً لدخول الجنة والنجاة من النار.

وكلمة "ابتلي" الواردة في الرواية الثانية بمعنى اختبر وسمي ابتلاءً لكراهة بعض الناس للبنات.

الوصية الثالثة عشرة

صلي والديك وإن كانا كافرين

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: "**قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت عليَّ أمي وهي راغبة (أي طامعة تسألني شيئاً)، أفأصل أمي؟ قال: "نعم، صلي أمك"**. [٢]

"**نعم، صلي أمك**" جواب الرسول ﷺ على استفتاء أسماء رضي الله عنها، أي تصدقي عليها وأكرميها وصليها بأنواع البر المختلفة امتثالاً لقول الله عزوجل: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾

(لقمان: 15).

إنها رحمة الإسلام التي وسعت كل شيء حتى الأبوان والأقارب الذين بقوا على كفرهم وعنادهم وتكذيبهم بدينك، عليك أن تصلهم وتكرمهم وتبرهم.

---

1 (رواه مسلم في كتاب الأدب – باب فضل الإحسان إلى البنات).

2 (متفق عليه رواه البخاري – كتاب الهبة – باب الهدية للمشركين، ورواه مسلم – كتاب الزكاة – باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين).

إنها وصية نبوية كريمة لكل فتاة ملتزمة بدينها في زماننا أن تحسن وتكرم أبويها ولو بدا منهما كفر أو فسوق أو عصيان لله ورسوله، نعم لا تقرهما على كفر ولا تطيعهما في معصية كما أمرتها الآية الكريمة، وتبين الحق كما أمرها ربها وتغضب لدين الله وحرماته إذا ما انتهكها أحد والديها أو كلاهما، وتحزن على تفريطهما في جنب الله، ولا تشهد معهما مشاهد المعصية، ولكن حذار أن يأخذها الغضب لحرمات الله للإساءة إليهما، وسوء الصحبة معهما. وحذار من تطبيق مفهوم البراءة من الشرك والكفر والفسوق على حسن العشرة والبر بالوالدين.

إن اتساع قلبها الكبير لهما، ومقابلة كفرهما وعنادهما باللين والسماحة في التعامل (أقول في التعامل وليس في موافقتهما الفكرية على الضلال)، تقود بلا شك مع دعائها الخالص ودعوتهما بالحكمة والنصح الرقيق إلى الهداية والتوبة والرجوع لرحاب الله، وأما المقاطعة والغلظة فلا تفضي إلا لتشددهما وتشبثهما بما هما عليه.

الوصية الرابعة عشرة

إكرام الجارة لجارتها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة"**. [1]

والفرسن هو عظم قليل اللحم، واستخدامه في هذا الموضع له دلالة على أهمية الهبة والهدية بين الجيران مهما كانت متواضعة، لأن التهادي طريق إلى التحاب والتآلف والتلاحم بين الجيران.

فهذا الصحابي الجليل أبوذر رضي الله عنه يقول: "إن خليلي ﷺ أوصاني " **إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأَصَبْهم منها بمعروف**". [2]

---

1 (متفق عليه – رواه البخاري في أول كتاب الهبة – ومسلم في كتاب الزكاة – باب الحث على الصدقة ولو بالقليل).

2 (رواه مسلم في كتاب البر والصلة – باب الوصية بالجار).

وأما أولى الجيران بالإحسان والمعروف والهية فهو الأقرب باباً فقد سألت عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: "**إلى أقربهما منك باباً**". (١)

الوصية الخامسة عشرة

ماذا تصنع المرأة في زوجها الشحيح؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم. قال: "**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**". (٢)

الرجال معادن منهم من هو أكرم من الريح المرسلة، ينفق بسخاء، ويوسع على والديه وزوجه وولده وأرحامه بل جيرانه وأضيافه، حتى أنه ليقعد ملوماً محسوراً بعد نفاد ما بيده.

ومنهم متوسط الإنفاق الآخذ بهدي القرآن الكريم في التوسط قال تعالى:﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ (الإسراء: 29).

وأما الصنف الثالث فهو أسوأ المعادن، مبغوض من الله ومن الناس، وهو البخيل الشحيح الذي يحبس المال عن أهله ويتركهم عرضة للفاقة والحاجة والنظر لما في أيدي الآخرين، فإذا ابتليت المرأة بمثل هذا الصنف فقد أباح لها الرسول ﷺ في فتواه أن تأخذ حقها من مال زوجها بغير إذنه وعلمه لأنه إنما يمنعها من ذلك بغير حق، ولأنه مضيع أمراً استرعاه الله عليه وكما ورد في الأثر "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول" وفي رواية "من يقوت". ومن المهم أن يكون أخذها من مال زوجها

1 (رواه البخاري في كتاب الهبة – باب بمن يبدأ بالهدية).

2 (متفق عليه رواه البخاري في كتاب النفقات – باب نفقة المرأة إذا غاب زوجها – ورواه مسلم في كتاب الأقضية – باب قضية هند).

بالمعروف أي من غير تجاوز للحد بل تأخذ الحد المعقول الذي ينفق عليها وعلى أولادها بغير سرف.

قال ابن قدامة رحمه الله : في حديث هند زوج أبي سفيان دلالة على وجوب النفقة للمرأة على زوجها، وأن ذلك مقدر بكفايتها.

الوصية السادسة عشرة

قرار المرأة في بيتها

عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما أنها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله: **إني أحب الصلاة معك، قال: "قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي**". قالت : فأمرت فبني لها مسجد في أقصى بيت من بيوتها وأظلمه، فكانت والله تصلي فيه حتى ماتت." [١]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"إن أحب صلاة المرأة إلى الله في أشد مكان من بيتها ظلمة"**. [٢]

ومن اللطائف الجميلة التي تروى في هذا الباب قصة وردت عن الزبير وكان شديد الغيرة، أنه تزوج امرأة فكانت تخرج إلى الصلاة في المسجد فيرغب إليها ألا تخرج، فَتُلِحُّ عليه لأجل الصلاة، ولا يستطيع منعها لأنه يعلم أن ذلك مسموحٌ في حقها خاصة مع ورود الأثر النبوي **"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"**، وفي رواية **"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن"**.

فخرجت مرة فكمن لها في الطريق فلما مرت قرص عجيزتها (**قرصها من خلفها**)، فرجعت من فورها إلى بيتها وهي تسترجع (أي تقول إنا لله وإنا إليه

---

1 (رواه أحمد في المسند).

2 (رواه ابن خزيمة في صحيحه).

راجعون) وتستغفر، فامتنعت من الخروج بعد ذلك، فسألها الزبير عن سبب ذلك، فقالت: " كنا نخرج يوم كان الناس ناسا، فلما تغيرت قلوبهم تركنا الخروج".

قال تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

(الأحزاب: 33).

رغّب الله عز وجل ونبيه محمد ﷺ النساء في القرار في بيوتهن، وفضل الشارع عدم خروجهن من بيوتهن حتى بقصد العبادة في المساجد، يقول سيد قطب رحمه الله: ".. وقر من يقر. أي ثقل واستقر، وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً. إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن، وهو المقر وما عداه استثناءً طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن. إنما هي الحاجة تُقْضَى، وبقدرها. والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى.." [1]

إن الناظر نظرة سريعة للجامعة والشارع ووسيلة المواصلات ومكان العمل، ليجد أن الشر الذي وصل إليه مجتمعنا الآن من ضعف الإيمان ورقة الدين وفساد الأخلاق ومشاكل الأسر والبيوت نابع بالدرجة الأولى من تساهل النساء في الخروج والاختلاط بالرجال والتبرج.

على المرأة المسلمة أن تثوب لرشدها وتلتزم بيتها ولتعلم أن اهتمامها بإصلاح بيتها وأولادها وشأن زوجها وتلاوتها كتاب الله وذكرها لربها في بيتها يحيله لجنة على الأرض، وأن خروجها من مملكتها بغير حاجة ولا ضرورة عون للشيطان على نشر الفتن والفساد.

---

1 (في ظلال القرآن – ج 5 – ص2856).

الوصية السابعة عشرة

تغليظ تحريم تطيب المرأة خارج بيتها

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية**" [١] ، وعن زينب الثقفية أن رسول الله ﷺ قال: "**إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تقربن طيباً**". [٢]

من الواضح أن المرأة إذا خرجت مستعطرة فإنها تحرك داعية الشهوة عند الرجال، لذلك ورد التحريم في ذلك قطعاً لدابر الفتنة وحفاظاً على طهارة المجتمع.

ومن تأمل حديث زينب وجد أن تحريم تطيب المرأة لم يستثنِ خروجها إلى المسجد، وهو مكان طهارة وعبادة فما بال مريدة السوق والشوارع وغيرها.

الوصية الثامنة عشرة

تحريم مصافحة الرجال

عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساءٍ لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: أن لا نشرك بالله شيئاً.. (آية سورة الممتحنة) وقال: "فيما استطعتن وأطقتن" **قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا. قلنا: يا رسول الله: ألا تصافحنا؟ قال:** "**إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة**". [3]

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " **ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام**". [4]

---

1 (أبو داود والترمذي والحاكم بنحوه).

2 (رواه مسلم والنسائي).

3 (أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه والترمذي وصححه).

4 (رواه مسلم).

أخرج الطبراني في الكبير عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**". [1]

انتشر بين النساء مصافحة من لا يحل لهن من الرجال، وإذا نصحت إحداهن وحذرتها من شدة حرمة ذلك قالت: (فلان مثل أخي، هل سيأكلني إذا صافحني، أستحي أن أردَّ من مد يده... وغير ذلك من الكلام الذي لا يغني عنها من الله شيئاً) أو تتهم المسلم الذي ينهاها عن ذلك بالتشدد ومرض القلب والشبق.

أقول لهذه الفئة من الأخوات إذا كان المعصوم الصادق الطاهر محمد ﷺ لا يصافح النساء، إذهاباً للريبة عن نفسه مع أنه أبعد الناس عنها، ولا يخطر في قلبه خطرات الشيطان. فما بالك بذئاب اليوم من الرجال!؟

الوصية التاسعة عشرة

تحريم الخلوة بالرجل

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**". [2]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إياكم والدخول على النساء!**" فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ (قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه) قال: "**الحمو الموت!**". [٣]

قال الله تعالى: ﴿... وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن...﴾ (الأحزاب: 53).

---

1 (الحديث ضعيف ضعفه السيوطي في كتابه الجامع الصغير).

2 (متفق عليه رواه البخاري في كتاب النكاح – باب لا يخلون رجل بامرأة، وورواه مسلم في كتاب الحج – سفر المرأة مع محرم).

3 (متفق عليه رواه البخاري في كتاب النكاح – باب لا يخلون رجل بامرأة، وورواه مسلم في كتاب السلام – باب تحريم الخلوة بالأجنبية).

أمر الله المؤمنين في هذه الآية بعدم الخلوة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا سألوهم حاجة أن يكون السؤال من خلف ستر أو حجاب، وطبعاً هذا الأمر ليس خاصاً بنساء النبي ﷺ بل هو مع غيرهن من النساء أولى، لأنه إذا علمنا أن هذا السلوك واجب مع نساء النبي ﷺ مع كونهن أمهات لجميع المؤمنين ومحرمات عليهم تحريماً أبدياً فكيف يكون السلوك مع النساء الأخريات؟

إن العلاقة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها ينبغي أن يراعى فيها الحذر الشديد، وسد كل أبواب الذرائع المفضية للشبهات، لذلك فإن الرسول ﷺ شدد في اختلاء المرأة بالرجال وزاد في تشديد الأمر مع أقارب زوجها قال النووي: "أي أن الخوف منه – أي القريب – أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر، لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير نكير بخلاف غير القريب".

ومجتمعنا يقع في الصورة المخالفة لهذا الهدي النبوي كثيراً خاصة مع أقارب الزوج ويصل الأمر ببعض النساء، أن إحداهن تتكشف ولا تلبس الحجاب أمام أسلافها خاصة بحجة أنه يحرم عليهم نكاحها حرمة مؤقتةً ، وأنهم صاروا إخواناً لها، وكم حصل من الهلاك وخراب بيوت الزوجية بسبب هذا التهاون الخطير.

إنه تحذير من الرسول ﷺ لكل مسلمة بألا ترضى بالوقوع في الإثم والتعرض للأبواب المفضية للفاحشة.

الوصية العشرون

تحريم نظر المرأة لعورة المرأة

عن أبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد"**. (١)

---

1 (رواه مسلم في كتاب الحيض – باب تحريم النظر إلى العورات).

تتساهل النساء في التكشف على بعضهن، ويصل الأمر لحد ارتياد بعض النساء لصالونات التجميل لإزالة الشعر غير المرغوب فيه، ولا يجدن حرجاً في ذلك، ولا تجد هذه الصالونات من يضرب على يد أصحابها ويمنعهم، بل إن إعلاناتهم عن هذه الخدمة وأسعارها تنشر في الصحف والمجلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ينبغي على المرأة المسلمة أن تعلم أن جميع بدنها عورة بالنسبة للرجل الأجنبي عنها ويشمل ذلك أسلافها وجميع أقارب زوجها وأقاربها كأبناء العم وأبناء الخال، وكذلك فبدنها جميعه عورة بالنسبة للكافرات، أما بالنسبة للمسلمات فعورتها من السرة إلى تحت الركبة لا يجوز لأحد من الناس النظر إلى هذه العورة ولا حتى والدتها إلا زوجها فله أن يفضي إليها وتفضي إليه والإفضاء في الثوب الواحد الوارد في الحديث هو الاضجاع والنوم تحت غطاء واحد متجردين من الثياب.

نهي النساء عن تغيير خلقتهن

قال الله تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا، وإن يدعون إلا شيطانا مريداً. لعنه الله وقال لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً. ولأضلنهم ولأمنينّهم ولآمرنّهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنّهم فليغيّرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً. يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً﴾ (النساء:117-121).

إذا فهي معركة مع الشيطان، بدأت لما نزع عن أبوينا آدم وزوجه لباسهما ليريهما سوآتهما، وقد كان له ذلك بسبب مخالفة آدم عليه السلام لأمر الله، لأن ثمرة المعصية انكشاف سوآت وعورات الجسد والنفس، وقد عاهد الشيطان ربه أن يستمر في المعركة ضد آدم وولده إلى يوم يبعث الله الخلائق، وأن يضل كثيراً منهم بأمور شتى, وأن يزين قبح المنكر في عيونهم، وأن يعدهم الوعود الكاذبة، فتكون العاقبة الخسارة والهلاك بالطرد من رحمة الله ودخول النار لا يجدون منها مفراً.

وتشير الآيات الكريمة إلى باب هام يلج منه الشيطان للنفوس البشرية، وخاصة نفوس النساء ألا وهو أمره إياهن بتغيير الفطرة والخلقة التي خلق الله عليها النساء، فقد أمر الله النساء بالستر والعفاف والحجاب وعدم إظهار الزينة إلا أمام أصناف محددة، ونهاهن عن الاختلاط بالرجال ونهاهن عن الخضوع بالقول.... إلى آخر ذلك من أوامر الله للنساء.

جملة القول أن الله عزوجل أمر بكل ما من شأنه أن يحفظ على المرأة حيائها الذي فطرت عليه، وصانها بأوامره عن كل دنس وأذى، وحصنها من كل سوء، فكانت استقامة المرأة على أوامر الله دليل على صلاح أمر المجتمع وتنزل البركة والرضا عليه من السماء، وكان انحراف المرأة عن أوامر الله إشارة واضحة على فساد الأمة بأسرها وإيذان الله لها بالهلاك. فعن حميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه عام حجَّ، على المنبر، وتناول قُــصـّــة شعر (خصلة شعر) كانت في يد حرسي (شرطي) فقال: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ عن مثل هذه، ويقول: "إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم" [1]

في الفقرات القادمة ينهى الرسول ﷺ نساء أمته عن اتباع الشيطان في باب تغيير الخلقة والفطرة الإلهية، وتحذير من كيد الشيطان لهن، وتزيينه لقبح المنكر في عيونهن.

الوصية الحادية والعشرين

أ) لعن النساء المترجلات

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**". وفي رواية: "**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**".[2]

---

1 (رواه البخاري، كتاب اللباس، باب وصل الشعر).

2 (رواه البخاري في كتاب اللباس – باب المتشبهين بالنساء).

يبلغ تشديد تحريم الرسول ﷺ تشبه المرأة بالرجال الحد الذي يوجب لعنة الله عليها، مما دعا العلماء أن يعتبروا تشبه المرأة بالرجل في لبسه وقصة وشعره وحركاته من الكبائر لأن اللعن يعني الطرد من رحمة الله، وهذا إنما يكون مع إتيان الإنسان أمر يبغضه الله ويمقت عليه وينزل بسببه الغضب والمقت على فاعله.

إن شيوع لبس النساء ملابس الرجال، وسراويل الرجال، ومحاكاتهن في قص شعورهن لقصات شعور الرجال، مسخ في الفطرة ويوجب غضب الله ومقته.

الوصية الثانية والعشرين

ب) النهي عن حلق رأس المرأة

ويأتي في هذا السياق نهي الرسول ﷺ المرأة أن تحلق رأسها، فعن علي رضي الله عنها قال: "**نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها**". [١]

وقريب من حلق الرأس تخفيفه جداً، كما تصنع الكافرات، والفاسقات، ولكن من الضروري أن أشير أن التداوي أحياناً يتطلب حلق الرأس كأن تكون المرأة تحتاج لعملية جراحية في رأسها, أو يتساقط شعرها بسبب علاجات معينة فهذا جائز لا شيء فيه.

الوصية الثالثة والعشرين

ج) تحريم وصل الشعر

عن أسماء رضي الله عنها: أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابنتي أصابتها الحصبة فتمرق شعرها، وإني زوّجتها، أفأصل فيه؟ فقال: "**لعن الله الواصلة والموصولة**". وفي رواية: "**الواصلة والمستوصلة**" [٢]

---

1 (رواه النسائي، كتاب الزينة – باب النهي عن حلق المرأة).

2 (متفق عليه، رواه البخاري في كتاب اللباس– باب الموصولة الشعر، ورواه مسلم في كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة).

فتمرق شعرها: انتثر وسقط، الواصلة : التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر، والموصولة: التي يوصل شعرها، والمستوصلة: التي تسأل من يفعل لها ذلك.

لقد سألت تلك الصحابية رضي الله عنها الرسول ﷺ عن جواز وصل الشعر مع توفر الداعي لذلك وهو مرض أصاب ابنتها فسقط شعرها، ثم تزوجت البنت فرغبت الأم في وصل شعر ابنتها. ومع توفر السبب الباعث للعمل إلا أن إيمان الرعيل الأول من الصحابة بالله وصدق اتباعهم واخلاصهم لدين الله يمنعهم عن إتيان أي فعل قبل السؤال، وفي هذا درس لنا جميعاً وللمرأة المسلمة خاصة بأن تبحث في الحكم الشرعي قبل الشروع في أي فعل، ولا تقدم قولها على قول الله عزوجل وقول رسوله مستجيبة لقول الله عزوجل: "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم" (الحجرات: 1)، وأن تستجيب لأوامر الله عزوجل ورسوله الكريم محمد ﷺ وتعلم أن الفلاح والنجاح في الدارين هو بالتزام أوامر الله مهما بدا تطبيقها صعباً لأن الله عزوجل يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم. .﴾ (الأنفال: 179).

ولهذا استجابت تلك الصحابية لنهي الرسول ﷺ لها عن وصل شعر ابنتها، ولم تجادل في ذلك لعلمها أن الخير والحياة الحقيقية باتباع أوامر الشرع الحنيف، فلم تجد في نفسها حرجاً مما قضى ﷺ وسلمت تسليماً.

الوصية الرابعة والعشرين

د) النهي عن خضاب الشعر بالسواد

عن جابر رضي الله عنه قال: أُتِيَ بأبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**غيّروا هذا، واجتنبوا السواد**". (1)

1 (رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة – باب صبغ الشعر وتغيير الشيب).

وعموم الأمر للرجال والنساء كما بوَّب الإمام النوَوي، ويحرم استعمال السواد لصبغ الشعر، لما في ذلك من الخداع والإيهام بصغر السن.

الوصية الخامسة والعشرين

د) النهي عن نتف الشيب

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"لا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم يوم القيامة".** [١]

إنه نور للمسلم والمسلمة وضياء للوجه وبهاء وإشراق للفطرة، وقد ورد أن الله تعالى يستحيي أن يعذب ذا الشيبة في الإسلام.

الوصية السادسة والعشرين

هـ) تحريم مغلظ للوشم والنمص والوشر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **"لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيِّرات خَلْقَ الله. فقالت له امرأة في ذلك، فقال: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قال الله تعالى : "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا".** [٢]

أما مفردات الحديث فهي الواشمة: فاعلة الوشم، وهو أن يُغْرَزَ في الجلد شيءٌ ليخرج الدم ثم يذر على الموضع كحل أو نيل فيخضر به أو يزرق، ثم لا يزول حتى الموت، والمستوشمة: يصح أن تكون هي التي تطلب أن تفعل الوشم بغيرها بأجر أو بدون أجر، ويصح أن تكون التي تطلب الوشم لنفسها. النامصة: التي تأخذ من شعر حاجب غيرها وترققه، والمتنمصة: التي تأمر من يفعل بها ذلك. والمتفلجة: هي التي تبرد من أسنانها ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً، واسم الفعل (الوشر).

---

1 (رواه أبوداود والترمذي بأسانيد حسنة).

2 (متفق عليه، رواه البخاري في كتاب اللباس- باب المتفلجات للحسن، ورواه مسلم في كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة).

عمّ البلاء في زماننا هذا بشيوع هذه المعاصي بين النساء وإن كان إتيان الرجال لمعصية الوشم في الجاهلية الحديثة أكثر من النساء، والوشر ينتشر في البوادي أكثر من القرى والحواضر. لكن الأكثر شيوعاً في هذه المعاصي هو ترقيق غالب النساء وبعض الرجال للحواجب.

إن هذه المعاصي علامات لفساد الأمة وتحذيرات من كثرة الملعونين فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله. إنه تحذير لكل امرأة تريد أن تنجو بنفسها من النار، وتريد أن تجنب بيتها الشر والطرد من رحمة الله أن تكف عن هذه المعاصي، ولتعلم أنه لا يجوز تغيير شيء من الخلقة التي خلق الله تعالى عليها الإنسان سواء كان التغيير بزيادة أو نقص، للتجميل أو الإيهام بصغر السن، لتقليد الاخريات أو اتباعاً للموضة فكل ذلك طاعة للشيطان ونبذ لفطرة الرحمن ومعصية للرسول الكريم الحريص على نجاة الأمة.

وفي المباحات الأخرى مندوحة للمرأة المسلمة عن هذه المعاصي، فقد أباح الشرع استخدام الحناء للشعر والأطراف، وأباح تغيير الشيب بغير السواد، وأباح للمرأة التزين والتطيب لزوجها، ورخص لها في إزالة الشعر الذي ينبت مكان اللحية والشوارب.

الوصية السابعة والعشرين

تحريم استخدام آنية الذهب والفضة

عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **"الذي يشرب في آنية الفضة إنما يُجَرْجِرُ في بطنه نار جهنم"**. [1]وفي رواية مسلم **"من شرب في إناءٍ من ذهب أو فضة فإنما يُجَرْجِرُ في بطنه ناراً من جهنم"**.

تتباهى بعض النساء بما في بيوتهن من أطباق الفضة والملاعق المطلية بالذهب، ولا يعلمن أنهن يتباهين بما يجلب سخط الله، وان الاستزادة من هذه الأواني إنما هي

---

1 (متفق عليه)

استزادة من النار. ولا يعلمن أن هذه الأواني إنما يتخذها الكافرون في الدنيا ويحرمون منها في دار القرار حيث تكون خالصتاً للمؤمنين فقد روى حذيفة رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج، والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: **"هن لهم في الدنيا، وهي لكم ي الآخرة"** [١]، والمحروم هو الذي يترك متاع الآخرة الخالد من أجل حظ عاجل في الدنيا.

الوصية الثامنة والعشرين

التحذير الشديد من الغيبة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: "حسبك من صفية كذا وكذا. قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال: **"لقد قُلْتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته"**. [٢]

ومعنى مزجته: أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها.

قال الإمام النووي عن هذا الحديث:هو "من أبلغ الزواجر عن الغيبة"، لقد قالت أمنا عائشة رضي الله عنها كلمةُ حَقٍ في وصف ضرتها، لكنها أرادت بها أن تقلل من شأنها، فنهاها الرسول ﷺ بشدة، وخوّفها مما لا ترى من أثر كلمتها، فإن الغيبة التي تخرج سلسةً من اللسان لا يُلقي المرءُ لها بالاً يحسبها كلمة هينة لا يؤاخذ عليها، تكون أثقل من الجبال وتمزج البحر الخضم الواسع فتغيِّر من طعمه وريحه لنتنها وقبحها.

ولا أدري كيف يطيب لنا أن نأكل من جيفة منتنة؟! ونستزيد منها... إنه وصف الله عزوجل ومن أصدق من الله قيلاً لحال الذي يغتاب قال الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (الحجرات: 12).

---

1 (متفق عليه).

2 (رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح).

إن الكلام عن الناس والاستهزاء بهم والسخرية من أفعالهم هو فاكهة مجالسنا عموماً ومجالس النساء خاصة، وكثير من الناس إذا لمته على ذكر فلان أو فلان يقول: (لم أذكر إلا حقا، وهذا النعت وتلك الصفة فيه)، أو يقول: (هو أهل للذكر السيء، وهو ظالم، ولا غيبة لفاسق ونحو هذا الكلام).

في حديث آخر يسد الرسول ﷺ كل الطرق المفضية للغيبة بأن ينهى عن الحديث عن إنسان حتى لو كانت الصفة المذمومة الواردة على لسان المغتاب حقيقية غير مفتراة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**أتدرون ما الغيبة؟**" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "**ذكرك أخاك بما يكره**". قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**". [١]

وإني أرشد كل أخت في الله أن تتذكر النقاط التالية قبل إطلاق العنان للسانها بالحديث عن الناس:

أ) تستحضر الوصف الوارد في القرآن الكريم والسنة للمغتاب، وتستحضر منظر الجيفة المنتنة التي ستشرع في أكلها إن اغتابت.

ب) ثم تستحضر حق الناس الذين اغتابتهم ولتعلم أن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فإنهم يأتونها يوم القيامة يأخذون من حسناتها ويطرحون عليها من سيئاتهم فتلقى في النار.

ج) وإن كانت مؤمنة مصدقة بوعد الله ورسوله فلتذكر مصير المغتاب يوم القيامة، إنه ليعذب عذابا مضاعفاً بأن يصلى جهنم ويُعذِّب نفسه فيها، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**". [٢]

---

1 (رواه مسلم – كتاب البر – باب تحريم الغيبة).

2 (رواه أبوداود – كتاب الأدب – باب الغيبة).

د) ثم لتمسك لسانها عن أحاديث اللهو والثرثرة ولو كانت في مباحات ولتؤثر السلامة، لأن الكلام المباح قد يغريها بالغيبة، فقد روى أبوهريرة رضي الله عنه عر النبي ﷺ قوله: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**". (١)

وأخيراً فإن خير علاج للغيبة وآفات اللسان، هو إطلاق اللسان بذكر الله عزوج فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تكثر الكلام بغير ذكر الله: فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب وإن أبعد النا من الله القلب القاسي**". (٢)

الوصية التاسعة والعشرين

النهي عن فحش القول

عن عائشة رضي الله عنها قالت: **أتى النبي** ﷺ أناس من اليهود، فقالوا: ا (يعني الموت) عليك يا أبا القاسم. قال: "**وعليكم**". قالت عائشة: قلت: بل عليكم والذام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا عائشة لا تكوني فاحشة**". فقلت سمعت ما قالوا!! فقال: "**أو ليس قد رَدَدْتُ عليهمُ الذي قالوا، قلت: وعليكم**". (٣)

كان رسول الله ﷺ قرآناً يمشي على الأرض وكان خلقه القرآن، ومن الأ التي يعلمها الله للناس في كتابه كيف يكون التصرف مع السفهاء "وإذا خ الجاهلون قالوا سلاماً"، إنه التجاوز وعدم الخوض فيما يخوض الجاهلون.

إنها عفة اللسان التي ينبغي أن تحرص عليها المسلمة، وأن تحفظ لسان يلوثه من الفحش، وتحتاج المسلمة لهذا الأدب النبوي في خلافاتها مع الناس، فه أن تترفع عن سفاسف القول، وألفاظ السفهاء من الناس، إنها بإعراضها عنهم ت غيظهم، وتفوت عليهم فرصة النجاح بتسويق بضاعتهم الرديئة.

---

1 (متفق عليه).

2 (رواه الترمذي – كتاب الزهد – باب أبعد الناس من الله).

3 (صحيح مسلم).

الوصية الثلاثون

النهي عن التباهي الكاذب

عن أسماء رضي الله عنها أن امرأة قالت: **يا رسول الله إن لي ضرةً فهل عليَّ جناح إن تَشَبعْتُ من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المتشبع بما لم يُــعــطَ كلابس ثوبي زور".** [1]

الضرة: هي امرأة الزوج والجمع ضرائر وضرات. هل عليَّ جُناحٌ: هل عليَّ من إثم. تشبعت: ادعيت حصول خير لي ولم يحصل. المتشبع: هو الذي يظهر الشبع وليس بشبعان. الزور: الكذب متعمداً على الغير.

تميل المرأة للتساهل في الكذب خاصة إذا كان الأمر يتعلق بذكر عطايا وهدايا الزوج لها، وتبيان عظيم حبه واهتمامه بها، وقد تُـتـْـبع المرأة ذلك بافتراء طائفة من أفعال زوجها وأقواله في جنونه بحبها ومآثرها عنده وعدم استغنائه عنها طرفة عين وأنه ليس عليها إلا أن تأمر فتطاع. وترتفع وتيرة ذلك الكذب والافتراء أمام من تغار من الضرائر والمعارف والجارات.

ثم تبقى تلك المرأة المسكينة خائفة مضطربة مترقبة سقف كذبها الآيل للسقوط في أية لحظة، تخشى من أن يفضحها واقع حالها، أو زلة مقالها، أو يكشفها أحد من معارفها بحسن نية أو بسوء طوية، وفي معظم الأحيان لا يكاد يمر وقت يسير حتى ينكشف كذبها ويظهر زيف ما ادعت، فينفضح أمرها أمام الناس وتسقط من أعينهم.

لقد نفرّ الرسول ﷺ في الحديث السالف الذكر من هذه الصفة القبيحة بأن جعل فاعلتها لابسة لثوبين من الكذب، لأنها جمعت شرّين أما الأول فهو حرمانها في حقيقة الأمر مما زعمت أنه عندها، والثاني ادعائها وجوده، إنها تصنع كما يصنع الجائع الذي يدعي الشبع والتخمة. فيجتمع فيه الجوع والكذب.

---

1 (رواه البخاري في كتاب النكاح – باب المتشبع بما لم ينل).

ما الذي يضير المرأة أن تعيش مُرْضِية لربها بخصلة الصدق، مطمئنة النفس، ثابتة القلب، واثقة أمام الناس بكل كلمة تقولها، لا تتطلع لغير السماء، وما يضرها أو يعيبها ألا يكون عندها متاع زائل من الدنيا تدعيه الناقصات الفارغات من النساء.

إن الكذب آفة خطيرة نفاها الرسول ﷺ عن المؤمنين، فقد يقع من المؤمن معاصي كثيرة كالسرقة والزنا وشرب الخمر لكن المؤمن لا يكذب، بل هي صفة لصيقة بالمنافقين فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "**أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**". (١)

إنها دعوة لكل مسلمة أن تتوقف عن التباهي الفارغ المبني على الكذب الذي سرعان ما ينكشف، وإذا كان شعورها بالخزي مؤلم إذ ينكشف أمرها أمام مجموعة قليلة من البشر في الدنيا لا يملكون لها ضراً، فكيف سيكون حالها إذا لقيت ربها يكلمها ليس بينها وبينه ترجمان أمام جميع الخلائق وقد كُتِبَت عنده كذابة ثم اقتيدت للنار.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**". (٢)

الوصية الحادية والثلاثين

النهي عن وصف ما يحدث في المخدع

من حديث مؤمل عن أبي هريرة الطويل: ... قال رسول الله ﷺ: "**هل منكم**

---

1 (رواه البخاري في كتاب الإيمان – باب علامات المنافق).

2 (متفق عليه).

الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟" قالوا: نعم. قال: " **ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا فعلت كذا**". قال: فسكتوا. قال فأقبل على النساء فقال: "**هل منكن من تحدث؟**" فسكتن فجاءت فتاة على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله إنهم ليتحدثون وإنهن ليتحدثنه فقال: "**هل تدرون ما مثل ذلك فقال إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه**". [١]

وقال صلى الله عليه وسلم: "**إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها**". [٢]

تجتمع كثير من النسوة ويتهامسن ويتضاحكن ويتباهين عند ذكرهن لما يحصل بينهن وبين أزواجهن، ويلقين بالكلمات والايحاءات ويحسبون ذلك هيناً وهو عند الله عظيم.

إن المجتمع المسلم الطاهر العفيف لا يعرف ولا يقر هذه الصورة المبتذلة.

إن الخطورة في هذا السلوك تكمن في نقل المتحدثة بصورة شفوية لمناظر تقترب من الصورة والفيلم الاباحيين بل إنها تكون أخطر منها في أحيان كثيرة لأنها ترسخ في ذهن السامع فلا تندرس أبداً، وقد تكون سبباً في الايذاء والتعيير إذا دَبَّ الخلاف بين الصديقات.

أظن أن المثل الذي ضربه المصطفى ﷺ لذلك بشيطان يأتي شيطانة في الطريق على مرأى من الناس صورة منفرة وكافية أن تمنع كل مسلمة من الخوض في أحاديث غرف النوم والمخادع.

---

1 (أبوداود – كتاب النكاح – باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله).

2 (رواه مسلم).

الوصية الثانية والثلاثين

النهي عن وصف محاسن امرأة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها**". [1]

يقصد بالمباشرة التقاء البشرتين والملامسة، ولكنها هنا كناية عن رؤية النساء لبعضهن بدون حجاب فتطلع الواحدة على تفاصيل جمال ومحاسن الأخرى التي كانت خافية بالحجاب.

والأدب النبوي الذي يحفظ البيوت والمجتمعات في هذا الصدد هو نهي المرأة أن تصف محاسن أية امرأة أخرى لزوجها أو لأي رجل أجنبي عن تلك المرأة، وخُصِّصَ النهي في الزوج لأن الزوجة عادة أكثر جلوساً معه وأكثر بوحاً له بالأسرار من غيره وقد نهى الرسولﷺ عن الوصف لأنه قريب من المشاهدة ويطلق للخيال العنان .

إن الضرر الأول الذي يقع عند إتيان المرأة هذه المخالفة الشرعية إنما يقع عليها، لأنها بذلك تجعل للشيطان على زوجها سبيلاً بأن يقارن بينها وبين تلك المرأة الموصوفة ، وتطلق لخطرات زوجها العنان بالتخيل والأوهام، فيزهد فيها ويصل الحد ببعضهم أن يصرح لزوجته بأن فلانة أجمل وأبهى وأحسن وبهذا فإن المرأة تنغص عيشها بنفسها.

ثم إنه باب يلج منه الشيطان لمرضى القلوب من الرجال وما أكثرهم فيطمع في تلك المرأة الموصوفة، ويترتب على ذلك الكثير من الفساد وخراب بيوت الزوجية.

وعلى المرأة المسلمة العفيفة اللبيبة أن تعرف نوعية النساء اللواتي لا يتورعن عن وصف النساءِ للرجال، فلا تكشف عن مفاتنها ومحاسنها أمامهن. ولعل النهي الشرعي عن تكشف المرأة المسلمة أمام نساء أهل الكتاب وغيرهن من الكافرات هو من هذا الباب لأنه لا دين يعصمهن ولا التزام بهدي المصطفى يمنعهن من وصف النساء للرجال.

---

1 (رواه البخاري في كتاب النكاح – باب لا تباشر المرأة المرأة).

يبقى في الأمر استثناء وهو جواز وصف المرأة المخطوبة للخاطب الصالح الذي يبتغي العفاف بالنكاح.

وأشير هنا لأمر وثيق الصلة بالوصف وهو أن تبوح المرأة لزوجها بأسرار بيوت الأخريات وتثرثر أمامه بخلافاتهن مع أزواجهن، ونحو ذلك من عورات البيوت التي تُطمع من في قلبه مرض لاستغلال نقاط الضعف وإيجاد الثغرات للفساد والإفساد.

لتعلم المرأة الثرثارة إنها منهية عن ذلك بنهي الرسول ﷺ أمته "**عن قيل وقال**"، وأن ذلك من الغيبة.

وعلى المرأة اللبيبة كذلك أن تكتم أسرار بيتها، وتجتهد في ستر العورات وإصلاح العيوب بنفسها، فإن عجزت واضطرت لمشاورة غيرها قاصدة الإصلاح فعليها أن تختار العالم الجليل العامل، أو المرأة الصالحة العاقلة التقية الأمينة على الأسرار.

الوصية الثالثة والثلاثين

النهي عن لعن سائر المخلوقات

عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت، فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: "**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة**". فقال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد. (١)

إن اللعن الذي تلوكه ألسن الناس بالليل والنهار بسهولة ويسر كأن أحدهم يتنفس الهواء، كلمة كبيرة عظيمة "كبرت كلمة تخرج من أفواههم"، إن معنى اللعن الطرد من رحمة الله، وقد خاب وخسر في الدارين من طُرد من رحمة الله.

1 (رواه مسلم في كتاب البر – باب النهي عن لعب الدواب وغيرها).

ولأنه أمر عظيم فقد شدد الرسول ﷺ نهي المؤمنين والمؤمنات عنه وفي حديث متفق على صحته جعل لعن المؤمن كقتله، وفي حديث آخر نهى عن التهاون في تداول ألفاظ غضب الله ولعنه وناره فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار"**. (١)

ويبلغ تشديد الرسول ﷺ في النهي عن اللعن الحد الذي يبينه الحديث السابق عن تلك المرأة الأنصارية التي لعنت ناقتها لصعوبة انقيادها فزجرها الرسول ﷺ بأن حرمها منها ونهى عن ركوبها، فأي خير في دابة ملعونة. إن في صنيع المصطفى ﷺ مع المرأة أشد الزجر عن اللعن حتى لعن الحيوانات والجمادات.

لقد شاع اللعن في زماننا خاصة في أوساط النساء، حتى أن معظم كلام بعض النساء مع أولادهن يكون باللعن والدعاء بالشر والسب والشتم، حتى إذا شَبَّ هؤلاء الأولاد شَبُّوا عاقين لأمهاتهم ثم تستغرب الأمهات عقوقهم، ولا أدري لم يتعجبن من صنيع أولادهن؟ وفيما الاستغراب؟ إن عقوقهم نتيجة طبيعية بعد دعاء الأمهات عليهم بالشر وسبهم وشتمهم ولعنهم فقد قلّ فيهم الخير أو انعدم وانتزعت من حياتهم البركة وحل مكانها السخط والطرد من رحمة الله.

إنما مثل تلك الأمهات كمثل من زرع الشوك فهل ينتظر أن يجني العنب؟ بالطبع لا لن يجني إلا الجراح.

ما أجمل أن تتوب المسلمة عن لعن نفسها وأولادها وما حولها وتستبدل ذلك بالدعاء المبارك بالخير والبركة، وبالكلم الطيب فقد قال الله عن نفسه ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾. (فاطر: 10).

أقول إنها تخسر نفسها وأولادها ومالها باللعن والسب والشتم، في حين أنها تستنزل الرحمات والبركات والخيرات بكلامها الطيب ودعائها الصالح ولتقارن بين قولها لولدها (الله يطردك من رحمته) وبين قولها (الله يهديك، الله يشرح صدرك، الله يصلح أحوالك، الله ينير قلبك ودربك....).

---

1 (رواه أبوداود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

ما أروع أن تستبدل المرأة صراخها في أولادها بالحوار اللين والكلام الرزين العقلاني، وربما تقول قائلة أن مشاغل الحياة كثيرة ولا طائل من معالجة أفهام وعناد الأطفال إلا بالشدة، وأنا بدوري أسأل تلك القائلة هل الصراخ يعني الحزم؟ وهل أجدى صراخها نفعاً في تغيير سلوك وأفهام أطفالها، وهل أجبرهم ذلك على تغيير عاداتهم السيئة.

الوصية الرابعة والثلاثين

النهي عن طلب الطلاق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة"**[١] .

الطلاق أمر جليل عظيم لأنه يفصم عروة وثقى ويقطع رباطاً مقدساً ويفك ميثاقاً غليظا بين زوجين ويهدم بيتاً ويشتت أطفالاً لا ذنب لهم لذلك فهو "أبغض الحلال إلى الله" [٢]. كما ورد في الآثار النبوية، ولأنه كلمة عظيمة يترتب عليها ما أسلفنا فينبغي أن يحذر الزوجان على حد سواء من ذكرها والتفوه بها وينبغي أن يحسبان لعواقبها ألف حساب.

يسيء كثير من الرجال استخدام صلاحية الطلاق التي منحهم الله ، فتجدهم يسرفون في ربط أمور زوجاتهم وحياتهم بالتهديد بالطلاق ، وكثير من الجهلة الذين لا يبالون تقع من أحدهم الطلقة تلو الطلقة فتحرم عليه زوجته ويعاشرها بالحرام وهو لا يعلم ولا يكلف نفسه حتى السؤال عن حكم الله, ويكثر الفُسَّاقُ من استخدام الطلاق كيمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي المقابل تتساهل كثير من النساء في طلب الطلاق من الزوج، كلما عنّ خلاف بينهما، وما أكثر خلافات البيوت، وما أكثر تشاحن الأزواج.

---

1 (رواه أحمد وداود وابن ماجه).

2 (رواه أبو داود وابن ماجه).

وإني أظن والله أعلم لو أن أمر الطلاق بيد المرأة وموكول إليها، لوجدنا نسبة الطلاق تقفز عشرة أضعاف مما هي عليه في مجتمعاتنا، لسهولة ذلك على ألسنتهن، ولأنهن لا يحسبن عواقب الأمور كما يحسبها الرجال، ويقودهن الغضب الأعمى فيسارعن لفك عروة الزوجية بالطلاق.

نعم هناك حالات يأذن الشرع فيها للزوجة بطلب الطلاق والخلع، وإن المرأة الصالحة التي تراقب ربها عزوجل لا تطلب ذلك إلا عند الضرورة التي يترتب على تأخيرها ضرر بالغ، ولا تصنع ذلك إلا بعد أن استنفذت كل الوسائل في إصلاح الأمر واستعانت بالعقلاء الصالحين، ولعل أهم الأسباب التي تخولها أن تطلب الطلاق دون حرج من وعيد الحديث السابق هو تفريط زوجها في دينه من تركه للصلاة ومعاقرته للخمر وفسقه وعصيانه.

ويجوز لها ذلك إذا استحالت الحياة مع زوجها، بسبب عدم قدرته على الجماع، مما يضعها في عنت كبير، أو وجود خُلِقٍ سيءٍ عنده كضربه إياها وإيذائها، أو وجود عاهة أو مرض فيه لا تستطيع أن تصبر عليه.

الوصية الخامسة والثلاثين

الحياء لا يمنع من التفقه في الدين

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: **يا رسول الله: ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا" فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله"** [١] وقالت عائشة رضي الله عنها: **"نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين".** [٢]

---

1 (صحيح البخاري).

2 (صحيح البخاري).

إن الوصية للمسلمة المعاصرة التي يتضمنها هذا الحديث وغيره مما هو قادم في هذا الباب أن تعلم أن الله لا يأمر بالحياء في الحق ولا يمنع من ذكر الحق.

إن على المسلمة المعاصرة أن تأخذ القدوة في طلب العلم الشرعي من الصحابيات، فلم يمنع الحياء الصحابيات من التفقه في دينهن، مع أنهن الطاهرات العفيفات، ومع أنهن حُزْنَ النصيب الأكبر من الحياء، لكن تعظيمهن لأوامر الله وحرصهن على القيام بها على الوجه الذي يرضى به عنهن، وخوفهن من الوقوع في حرمات الله ونواهيه حملهن على التفقه والتعلم.

إنك لتجد مسلمة صلت دَهْرَها كله وهي تجهل بعض أحكام الطهارة والصلاة مما يبطل عملها، لأن العلم الصحيح شرط لقبول العمل.

وغالباً ما يكون حيائهن المذموم لأنه في غير محله هو السبب في عدم سؤالهن أهل الذكر، أو أنهن يسألن نساءً جاهلات فيفتونهن بغير الصواب.

الوصية السادسة والثلاثين

هل تحتلم المرأة؟

عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة أم المؤمنين أنها قالت: "**جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم إذا رأت الماء"**. (١)

جاءت هذه الصحابية الجليلة تسأل في أمر الاحتلام وهو كثير الوقوع للرجال، لكنه يقع للنساء أحياناً، ويبدو أن ندرته هي التي حملتها على السؤال.

ومعنى (احتلمت) كما يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث: الاحتلام افتعال من الحُـلْم بضم الحاء وسكون اللام وهو ما يراه النائم في نومه يقال منه حلم بالفتح واحتلم والمراد به هنا أمر خاص منه وهو الجماع . وفي رواية أحمد من

---

1 (البخاري – كتاب الغسل – باب إذا احتلمت المرأة).

حديث أم سليم أنها قالت : "يا رسول الله إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها في المنام أتغتسل؟" ويتابع الحافظ ابن حجر تفسير قولها (إذا رأت الماء) : أي المني بعد الاستيقاظ وفي رواية الحميدي عن سفيان عن هشام "إذا رأت إحداكن الماء فلتغتسل"، وزاد " فقالت أم سلمة: وهل تحتلم المرأة؟" وكذلك روى هذه الزيادة أصحاب هشام عنه غير مالك فلم يذكرها، وفيه " أو تحتلم المرأة ؟ " وهو معطوف على مقدر يظهر من السياق أي أترى المرأة الماء وتحتلم ؟ وفيه " فغطت أم سلمة وجهها " وفي رواية " فضحكت أم سلمة " ويجمع بينهما بأنها تبسمت تعجبا وغطت وجهها حياءً ولمسلم من رواية وكيع عن هشام " فقالت لها: يا أم سليم فَضَحْتِ النساء" وكذا لأحمد من حديث أم سليم وهذا يدل على أن كتمان مثل ذلك من عادتهن، لأنه يدل على شدة شهوتهن للرجال. وقال ابن بطال: فيه دليل على أن كل النساء يحتلمن وعكسه غيره فقال: فيه دليل على أن بعض النساء لا يحتلمن والظاهر أن مراد ابن بطال الجواز لا الوقوع أي فيهن قابلية ذلك. وفيه دليل على وجوب الغسل على المرأة بالإنزال وكأن أم سليم لم تسمع حديث "الماء من الماء" أو سمعته وقام عندها ما يوهم خروج المرأة عن ذلك وهو ندور بروز الماء منها. وقد روى أحمد من حديث أم سليم في هذه القصة أن أم سلمة قالت "يا رسول الله وهل للمرأة ماء؟ فقال: هن شقائق الرجال" وروى عبد الرزاق في هذه القصة "إذا رأت إحداكن الماء كما يراه الرجل" وروى أحمد من حديث خولة بنت حكيم في نحو هذه القصة "ليس عليها غسل حتى تنزل كما ينزل الرجل" وفيه رد على من زعم أن ماء المرأة لا يبرز, وإنما يعرف إنزالها بشهوتها وحمل قوله "إذا رأت الماء" أي علمت به. [1]

وتبقى مسألة هامة تستفاد من فتوى الرسول ﷺ لهذه الصحابية، وهي أن الاغتسال يجب برؤية الماء، إما إذا احتلمت المرأة فلم تجد ماءً فلا غسل عليها، حتى لو كانت متأكدة من وقوع الاحتلام فالعبرة بالماء، ويقابل ذلك أن تجد الماء ولا تذكر الاحتلام فيجب عليها الغسل.

---

1 (بتصرف عن شرح العسقلاني لهذا الحديث).

الوصية السابعة والثلاثين

التقاء الختانين يوجب الغسل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إذا جلس بن شعبها الأربع ثم جَــهَــدَها فقد وجب الغسل**". [1]

وشعبها الأربع: يدا ورجلا المرأة، و جَــهَــدَها: كناية عن محاولة الرجل الإيلاج والدخول بامرأته.

عن سعيد بن المسيب أنا أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها: "إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي منك، فقالت: سل ولا تستحي فإنما أنا أمك، فسألها عن الرجل يغشى ولا يُنْزِل، فقالت عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**إذا أصاب الختان فقد وجب الغسل.**" [2]

والمقصود بالحديثين السابقين، أنه إذا وقع ولوج ولو لجزء من عضو الرجل في الفرج فقد وجب الغسل عليه وعلى زوجته حتى لو لم ينزل المني.

والمقصود بمس الختان محاولة الإيلاج لا المس، لأن مجرد تماس عضو الرجل بعضو المرأة من غير إيلاج فلا يوجب الغسل على واحد منهما. [3]

الوصية الثامنة والثلاثين

هل تنقض المرأة ضفيرتها عند الاغتسال؟

عن أم سلمة رضي الله عنها أن امرأة قالت: يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي، أفأنقضه للجنابة؟ قال: "**إنما يكفيك أن تحثي عليه ثلاث حثيات من ماء ثم تفيضي على سائر جسدك، فإذا أنت قد طهرت**". [4]

---

1 (رواه أحمد ومسلم).

2 (رواه أحمد ومالك بألفاظ مختلفة).

3 (فقه السنة – سيد سابق – ج 1 – بتصرف).

4 (رواه مسلم وأحمد والترمذي وقال: حسن صحيح).

وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: " بلغ عائشة رضي الله عنها أن عبدالله بن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، فقالت: يا عجباً لابن عمر، يأمر النساء إذا اغتسلن بنقض رؤوسهن، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن!؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد وما أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات". (١)

يتضح من الحديثين السابقين، كيف رفع الله الحرج عن المرأة المسلمة في اغتسالها سواء من جنابة أو حيض بأنها غير مضطرة لفك ضفيرتها، بل يكفيها أن يصل الماء لأصول شعر الرأس وأن تدلك رأسها دلكاً شديدا حتى تطمأن لوصول الماء.

مسائل في الحيض

الوصية التاسعة والثلاثين

إذا حاضت المرأة في الحج

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجنا لا نرى إلا الحج فلما كنا بسرف حضت فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي قال: **ما لك أنفست**. قلت: نعم. قال: "**إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت**". قالت: وضحى رسول الله ﷺ عن نسائه بالبقر". (٢)

ومن رواية جابر بن عبدالله رضي الله عنه التي رواها مسلم في صحيحه عن وصفه لحج الرسول ﷺ قال: "... فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أصنع؟ قال: "**اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي**".

---

1 (رواه مسلم وأحمد).

2 (البخاري – كتاب الحيض – باب كيف كان بدء الحيض).

والاستثفار هو اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة لمنع سيلان الدم.

وهكذا فإن الحائض والنفساء تتم أعمال الحج غير أنها لا تطوف بالبيت.

الوصية الأربعون

قراءة القرآن في حجر الحائض

عن عائشة رضي الله عنها: "**أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن**". [١]

قال ابن دقيق العيد: في هذا الفعل إشارة إلى أن الحائض لا تقرأ القرآن، لأن قراءتها لو كانت جائزة لما توهم امتناع القراءة في حجرها حتى احتيج إلى التنصيص عليها، وفيه جواز ملامسة الحائض وأن ذاتها وثيابها على الطهارة ما لم يلحق شيئا منها نجاسة، وهذا مبني على منع القراءة في المواضع المستقذرة، وفيه جواز القراءة بقرب محل النجاسة، قاله النووي: وفيه جواز استناد المريض في صلاته إلى الحائض إذا كانت أثوابها طاهرة، قاله القرطبي.

الوصية الحادية والأربعين

علاقة الرجل بامرأته في حيضها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "**كنت أشرب وأنا حائض، فأناوله النبي صلى الله عليه وسلم، فيضع فاه على موضع في**". [٢]والمراد أنه ﷺ كان يشرب من نفس موضع فم عائشة على الكوب الذي شربت منه.

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: "**كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب، وكان يأمرني فئأتزر فيباشرني وأنا حائض، وكان يخرج رأسه إلي وهو معتكف فأغسله وأنا حائض**". [٣]

---

1 (البخاري - كتاب الحيض - باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض).

2 (رواه مسلم).

3 (البخاري - الحيض - باب مباشرة الحائض).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "**بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي. قال: أنفست. قلت نعم فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة**". (١)

تمر الحائض بآلام جسدية وشعور بالكآبة، خاصة في الأيام الأولى من دورتها الشهرية، وهذا أمر معروف في النساء لا يستطعن له دفعاً، لكن مما يضاعف هذه الآلام هو إحساس يلازم المرأة المسلمة بأنها نجسة أثناء حيضها، فتجدها في أشد حالات انطوائها وتحفظها عن مخالطة الناس وحتى الاتصال بالجمادات، حتى أن بعضهن يمتنع عن ذكر الله عز وجل مع أنه السبب لطمأنينة القلب وذهاب الشيطان والقلق، بحجة أنه لا يليق بنجسة ملوثة أن تسبّح أو تستغفر، ولا شك بأن فعلها هذا من أشد الخطأ.

على المرأة المسلمة أن تطلق لسانها بذكر الله تعالى وهي حائض فهو سبيل الطمأنينة، وعليها ألا تزيد من ضيقها وحرجها النفسي وهي تمر بفترة الحيض بشعورها الملازم لها بالنجاسة، ولتوقن أن المؤمن والمؤمنة لا ينجسان حتى لو جنبا، والنجاسة في الحائض منحصرة بالدم الخارج منها ومكانه، وجسدها طاهر، وكونها تمتنع عن الصلاة والصيام ودخول المساجد والطواف، فإن ذلك لا يعني البتة أنها نجسة بسبب هذا الحيض، بل هي مؤمنة طاهرة يحبها الله، ويأجرها على ما تجد وتكابد بسبب الحيض، ثم إن امتناعها عن بعض العبادات في الحيض لا يعني أنها منقطعة الأجر فإنها في عبودية لله عزوجل في سائر أعمالها من ذكر ودعوة وصدقة وإحسان ورعاية للزوج والولد ومن حولها.

ويقع الدور الأكبر على من هم حول الحائض من أهل أو زوج بأن يخففوا عنها الشعور بالكآبة والضيق وقد ضرب لكم نبيكم محمد ﷺ أروع الأمثلة في الإحسان للحائض والتخفيف عنها والأحاديث السالفة لا تحتاج إلى تعليق منا على كمال أخلاق نبينا عليه وعلى آل بيته وأزواجه وأصحابه أفضل الصلاة والتسليم.

---

1 (البخاري – كتاب الحيض – باب من سمى النفاس حيضاً والحيض نفاساً).

ينبغي أن تتسم علاقة المسلم بزوجته الحائض بالحرص على المخالطة والمودة والحب والإكرام، وإشعارها بأنها في وضع طبيعي، وأجد والله أعلم أن تمتع الرسول ﷺ بنسائه وهنّ حُـيّـض يهدف في جزء منه إلى تكريم الحائض وإشعارها بأهميتها، ومخالفة لليهود عليهم لعائن الله تترى في اعتزالهم للحائض فلا تئاكلهم ولا تشاربهم ولا تجلس معهم، مع أن نفوسهم الخبيثة أنجس وأعظم كدراً من دماء الحائض.

الوصية الثانية والأربعين

كيف التطهر من الحيض

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "**أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض. فأمرها كيف تغتسل قال: خذي فرصة من مسك فتطهري بها. قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها. قالت: كيف؟ قال: سبحان الله تطهري، فاجتبذتها إلي فقلت: تتبعي بها أثر الدم**". [1]

وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ كيف أغتسل من المحيض؟ قال خذي فرصة ممسكّة فتوضئي ثلاثا، ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه، أو قال توضئي بها فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم". [2]

والفرصة الممسكة: قطعة من صوف أو قطن عليها مسك أو طيب لدفع الرائحة الكريهة وذلك مستحب لكل مغتسلة من حيض أو نفاس, ويكره تركه للقادرة.

---

1 (البخاري – الحيض – باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت).

2 (البخاري – الحيض – باب غسل المحيض).

الوصية الثالثة والأربعين

الاستحاضة

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله إني لا أطهر أفأدع الصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إنما ذلك عرق وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي**". [١]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "**اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه فكانت ترى الدم والصفرة والطست تحتها وهي تصلي**".[٢]

لأن المرأة المسلمة تحتاج لفهم أحكام الاستحاضة حتى تصح عبادتها فقد عمدت في الفقرات التالية إلى النقل بتصرف يسير مع بعض الشرح اليسير – بين قوسين – عن كتاب (فقه السنة لسيد سابق – ج 1 – ص 82 – 85) حول هذا الموضوع...

يقول سيد سابق رحمه الله:

تعريف الاستحاضة: استمرار نزول الدم وجريانه عند المرأة في غير أوانه.

والمستحاضة لها ثلاث حالات:

أ) أن تكون مدة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة، وفي هذه الحالة تعتبر هذه المدة المعروفة هي مدة الحيض، والباقي استحاضة، لحديث أم سلمة: أنها استفت النبي ﷺ في امرأة تهراق الدم فقال: "**لتنظر قَدْرَ الليالي والأيام التي كانت تحيضهن وقَدْرُهُنَ من الشهر، فتدع الصلاة، ثم لتغتسل ولتستثفر ثم تصلي**". (رواه مالك والشافعي والخمسة إلا الترمذي). قال الخطابي: هذا حكم المرأة يكون لها من الشهر أيام معلومة تحيضها في أيام الصحة قبل حدوث العلة (يقصد الاستحاضة) ثم تستحاض فتهريق الدم، ويستمر بها السيلان أمرها النبي ﷺ أن تدع الصلاة من

---

1 (البخاري – كتاب الحيض – باب الاستحاضة).

2 (البخاري – كتاب الحيض – باب اعتكاف المستحاضة).

الشهر قدر الأيام التي كانت تحيض، قبل أن يصيبها ما أصابها، فإذا استوفت عدد تلك الأيام، اغتسلت مرة واحدة، وحكمها حكم الطواهر.

ب) أن يستمر بها الدم ولم يكن لها أيام معروفة، إما لأنها نسيت عادتها، أو بلغت مستحاضة، ولا تستطيع تمييز دم الحيض. (أو لاضطراب موعد وأيام دورتها الشهرية) وفي هذه الحالة يكون حيضها ستة أيام أو سبعة، على غالب عادة النساء، لحديث حمنة بنت جحش قالت: كنت أستحاض حيضة كثيرة شديدة فأتيت النبي ﷺ أستفتيه وأخبره فوجدته في بيت أختي زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله إني أستحاض حيضة كثيرة شديدة فما تأمرني فيها قد منعتني الصيام والصلاة قال: أنعت لك (أصف لك) الكرسف (القطن) فإنه يذهب الدم قالت هو أكثر من ذلك قال فتلجمي (أي شد خرقة أو حفاظة لمنع سيلان الدم) قالت: إنما أثج ثجا (هو شدة السيلان) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **سآمرك بأمرين أيهما صنعت أجزأ عنك فإن قويت عليهما فأنت أعلم فقال إنما هذه ركضة من الشيطان فتحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله ثم اغتسلي فإذا رأيت أنك قد طهرت واستنقأت من النقاء فصلي أربعا وعشرين ليلة أو ثلاثا وعشرين ليلة وأيامها وصومي وصلي فإن ذلك يجزئك وكذلك فافعلي كما تحيض النساء وكما يطهرن لميقات حيضهن وطهرهن فإن قويت على أن تؤخري الظهر وتعجلي العصر ثم تغتسلين حين تطهرين وتصلين الظهر والعصر جميعا ثم تؤخرين المغرب وتعجلين العشاء ثم تغتسلين وتجمعين بين الصلاتين فافعلي وتغتسلين مع الصبح وتصلين وكذلك فافعلي وصومي إن قويت على ذلك فقال رسول الله ﷺ وهو أعجب الأمرين إلي**". [1] (أي أحبها إليّ) وهو الاغتسال لكل صلاتين .

قال الخطابي تعليقاً على الحديث: إنما هي امرأة مبتدأة لم يتقدم لها أيام، ولا هي مميزة لدمها، وقد استمر بها الدم حتى غلبها، فرد رسول الله أمرها إلى العرف الظاهر والأمر الغالب من أحوال النساء، كما حمل أمرها في تحيّضها كل شهر مرة

1 (رواه أحمد وأبوداود والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح).

واحدة على الغالب من عادتهن، ويدل على هذا قوله: "كما تحيض النساء ويطهرن بميقات حيضهن وطهرهن" قال: وهذا أصل في قياس أمر النساء بعضهن على بعض، في باب الحيض والحمل والبلوغ، وما أشبه هذا من أمورهن.

ج) أن لا تكون لها عادة، ولكنها تستطيع تمييز دم الحيض عن غيره، وفي هذه الحالة تعمل بالتمييز، لحديث فاطمة بنت أبي حبيش: أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "**إذا كان دم الحيض فإنه أسود يعرف، فإذا كان كذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي وصلي فإنما هو عرق**".

أحكام تتصل بالاستحاضة :

أ) أنه لا يجب عليها الغسل لشيء من الصلاة ولا في وقت من الأوقات إلا مرة واحدة، حينما ينقطع حيضها وبهذا قال الجمهور من السلف والخلف.

ب) أنه يجب عليها الوضوء لكل صلاة لقوله في رواية البخاري "**ثم توضئي لكل صلاة**"، وعند مالك يستحب لها الوضوء لكل صلاة، ولا يجب إلا بحدث آخر.

ج) أن تغسل فرجها قبل الوضوء وتحشوه بخرقة أو قطنة دفعاً للنجاسة، وتقليلاً لها، فإن لم يندفع الدم بذلك شدت مع ذلك على فرجها وتلجمت واستثفرت (التلجم والاستثفار هو كل ما من شأنه منع الدم من السيلان وينطبق في زماننا على وضع الحفاظات النسائية)، ولا يجب هذا، وإنما هو الأولى.

د) ألا تتوضأ قبل دخول وقت الصلاة عند الجمهور إذ طهارتها ضرورية، فليس لها تقديمها قبل وقت الحاجة.

هـ) أنه يجوز لزوجها أن يطأها في حال جريان الدم، عند جماهير العلماء لأنه لم يرد دليل تحريم جماعها. قال ابن عباس: المستحاضة يأتيها زوجها. إذا صلت فالصلاة أعظم، رواه البخاري يعني إذا جاز لها أن تصلي ودمها جار، وهي أعظم ما يشترط لها الطهارة، جاز جماعها. وعن عكرمة بنت حمنة، أنها كانت مستحاضة وكان زوجها يجامعها. (رواه أبوداود والبيهقي) وقال النووي: إسناده حسن.

و) أن لها حكم الطاهرات: فتصلي وتصوم وتعتكف وتقرأ القرآن وتمس مصحف وتحمله وتفعل كل العبادات، وهذا مجمع عليه، فدم الحيض دم فاسد أما دم استحاضة فهو دم طبيعي، لذا منعت في العبادات في الأول دون الثاني. [١]

الوصية الرابعة والأربعين

تحريم سفر المرأة وحدها

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: "**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**". فقال له رجل: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا؟ قال: "**انطلق فحج مع امرأتك**". [٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها**". [٣]

يحرم على المرأة أن تسافر مع غير محرم أو زوج، وقال الجمهور من الفقهاء: تمنع من كل ما يسمى سفراً طويلاً أو قصيراً، وقال الحنفية: تمنع من السفر الطويل الذي يجوز أن تقصر فيه الصلاة، أما السفر للحج والعمرة المفروضين فلا حرمة عليها أن تسافر من غير محرم إن أمنت على نفسها عند الشافعية، وقال الحنفية وأحمد: لا يجوز لها ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**لا تحجن امرأة إلا ومعها ذو محرم**" (رواه الدارقطني). وقال الجمهور: بعدم وجوب الخروج على الزوج أو المحرم مع من أرادت الحج من النساء، وقال الإمام أحمد: يجب على الزوج أو

---

1 (فقه السنة – ج 1 – ص 82 – 85).

2 (متفق عليه – البخاري – كتاب النكاح – باب لا يخلون رجل – ومسلم – كتاب الحج – باب سفر المرأة).

3 (متفق عليه – البخاري – كتاب الصلاة – باب تقصير الصلاة – ومسلم – كتاب الحج – باب سفر المرأة مع محرم).

المحرم السفر مع المرأة إذا لم يكن لها غيره). **(شرح رياض الصالحين – آخر الجزء الأول – شرح باب تحريم سفر المرأة وحدها).**

الوصية الخامسة والأربعين

بشرى لمن مات لها أولاد

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: "اجتمعن يوم كذا وكذا". فاجتمعن، فأتاهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: **"ما منكن من امرأة تقدّم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار"**. فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"واثنين"**. [١]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم"**. [٢]

لم يبلغوا الحنث: أي الذنب، عبر به عن البلوغ لأنه سببه ، ومعنى رحمته إياهم: لعظم شفقته عليهم ورحمته بهم فإن الله يرحمه ويدخله الجنة بفضل رحمة الله لهؤلاء الصغار.

ولكن الأمر يحتاج للصبر والاحتساب فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ تدعوه وتخبره أن صبياً لها في الموت فقال للرسول (الذي بلغ الرسالة للنبي من ابنته) : **"ارجع إليها فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب"**. [٣]

1 (متفق عليه – البخاري – كتاب الجنائز – باب فضل من مات له ولد – ومسلم – كتاب البر والصلة – باب من يموت له ولد).

2 (متفق عليه – البخاري – كتاب الجنائز – باب فضل من مات له ولد – ومسلم – كتاب البر والصلة – باب فضل من يموت له ولد).

3 (رواه البخاري في كتاب الجنائز – باب قول الرسول يعذب الميت ببكاء).

الوصية السادسة والأربعين

الصبر عن الصدمة

والصبر والاحتساب عند حدوث وفاة الولد أو الوالد أو الزوج أو العزيز شرط لنيل الأجر والثواب، فإن ابتلاء الله للمرأة بفقد عزيز فيه أجور عظيمة، لكن هذه الأجور لا تترتب إلا بالصبر ولا تظهر القدرة على الصبر إلا عند الصدمة الأولى.

عن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر (وفي رواية تبكي على صبي لها) فقال: "**اتقي الله واصبري**" فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، (أي لم تعرف أن محدثها هو النبي)، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك. فقال: "**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**". (١)

والظاهر من فهم الحديث أن بكاء المرأة كان نواحاً وهو المنهي عنه، لأنه لا نهي عن البكاء الذي لا صوت ولا صراخ ولا تسخط فيه على قدر الله، ومعروف أن رسول الله ﷺ بكى ودمعت عيناه وحزن قلبه على فقد أحبة له.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه (يموت)، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: "**يا بن عوف، إنها رحمة**" ثم أتبعها بأخرى، فقال: "**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون**". (٢)

---

1 (رواه البخاري في كتاب الجنائز – باب زيارة القبور).

2 (رواه البخاري في كتاب الجنائز – باب قول النبي إنا بك لمحزنون).

الوصية السابعة والأربعين

تحريم النياحة والتسخط على القدر

عن أم عطية نسيبة رضي الله عنها قالت: "**أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة ألا ننوح**". [١]وعن أسيد بن أبي أسيد التابعي عن امرأة من المبايعات، قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا ألا نعصيه فيه: **ألا نخمش وجهاً، ولا ندعو ويلاً، ولا نشق جيباً، وأن لا ننشر شعراً**". [٢]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**". [٣]

أما النياحة فهي البكاء مع ارتفاع الصوت المقترن بذكر صفات الميت والألم بفقده (كالقول يا جملي ويا سندي ويا ظهري أو واه جبلاه ومن لنا بعدك يا فلان)، ويصل الأمر لحد القول (لماذا أنا؟ ماذا فعلت في دنياي حتى ابتلى بهذا؟ ولماذا لم يمت العجوز ومات هذا الشاب؟) وغير ذلك من كفر اللسان والتسخط على قدر الله العظيم الحكيم.

وللتنفير من النياحة وقبحها فإن الله يعذب الميت بنواح أهله عليه فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**الميت يُـعذّب بما نيح عليه**". [٤]وقد يقول قائل (وما ذنب الميت؟) فرد العلماء على ذلك بأجوبة وجيهة منها: أن العذاب إنما ينال الميت الذي أوصى بالنواح عليه ولو بالايحاء لأهله أو السكوت والرضا عند ذكر أهله وهو في مرض الموت شدة جزعهم، وعقدهم العزيمة على النوح عليه إذا مات.

وقال آخرون: الميت الذي لم يوصي بعدم النواح يعذب إذا نيح عليه، لأن الأصل أن يوصي بمنع هذا المنكر الشائع والأكيد الحصول إلا أن يوصى بعكسه، لأن النساء

---

1 (رواه البخاري في كتاب الجنائز – باب ما ينهى عن النوح).

2 (رواه أبوداود – في كتاب الجنائز – باب في النوح).

3 (رواه البخاري في كتاب الجنائز – باب ليس منا من شق).

4 (رواه البخاري في كتاب الجنائز – باب ما يكره في النياحة).

اعتدن النواح على الأموات، فإذا بلغ الناس وصيته بعدم النواح فإنهم يحترمون وصيته.

وقال بعض أهل العلم: المراد بعذاب الميت ببكاء ونواح أهله، أنه يتألم رقة وشفقة عليهم حين يسمع بكاءهم ونواحهم.

ولقد توعد الله عزوجل على لسان رسوله ﷺ بعذاب شديد له صفة مخصوصة للنائحات يوم القيامة فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**". [١]

الوصية الثامنة والأربعين

النهي عن اللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونشره

والمعاصي الأخرى المرتبطة بالنوح من لطم وضرب للخدود، وشق للجيوب (يعني الأثواب خاصة ما يغطي النحر)، ونشر الشعور بنثرها ونفشها ونتفها وحلقها كلها من معاصي الجوارح التي لا تقل شراً عن النواح، وإن فاعلتها، ينتفي عنها الصبر الذي يترتب عليه الأجر، بل يكون عليها الوزر والإثم، وبَرِأَ منها رسول الله ﷺ فعن أبي بردة قال: وجع أبوموسى الأشعري فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنّة، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً. فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برىء منه رسول الله: **إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة (التي ترفع صوتها بالنياحة والندب) والحالقة (التي تحلق رأسها)، والشاقة (التي تشق ثوبها)**.". [٢]

وهكذا فقد استعرضنا خطورة الأفعال التي تقوم بها النساء الضالات لدى موت عزيز، فهي أعمال كفر وجاهلية وبرىء الرسول ﷺ منها، وهي تعبير عن الكفر بقضاء الله وعدم الرضا بقدره حلوه ومره, وانتفاء للتسليم لله وحكمته.

---

1 (رواه مسلم – كتاب الجنائز – باب التشديد في النياحة).

2 (متفق عليه).

وهي معاصٍ يترتب عليها الوزر والعقاب، والطامة أن الميت لا يستفيد منها البتة، بل يعذب بها ويكون أكثر ألماً، وتزداد شدته ووحشته في عالم البرزخ، مع أنه أشد ما يكون حاجة لما يؤنسه من الدعاء بالرحمة والصلاة عليه وقراءة القرآن له، والصدقة عنه وغير ذلك من أعمال البر التي تصل للميت.

الوصية التاسعة والأربعين

كراهة اتباع النساء للجنائز

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: "نهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعْزَم علينا".(١)

لم يعزم علينا: أي لم يشدد في النهي كما يشدد في المحرمات.

الوصية الخمسون

ماذا تقول المرأة عند المصيبة

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيراً منها"** قالت: فلما توفي أبوسلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخلف الله لي خيراً منه: "رسول الله صلى الله عليه وسلم". (٢)

اؤجرني: أي أعطني الأجر، واخلف لي: عوضني خيراً منها، أجره: أي أثابه.

---

1 (البخاري – كتاب الجنائز – باب اتباع النساء الجنائز).

2 (رواه مسلم – كتاب الجنائز – باب ما يقال عند المصيبة).

الوصية الحادية والخمسين

إحداد المرأة على الأموات

عن زينت بنت أبي سلمة رضي الله عنهما قالت: دخلت على أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبوسفيان بن حرب رضي الله عنه، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية، ثم مست بعارضيها، ثم قالت: "والله مالي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ **يقول على المنبر: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحَدَّ على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً"**. [١]

والإحداد هو ترك ما تتزين به المرأة من الحلي والكحل والحرير والطيب والخضاب (الحناء) وصبغ الشعر وسائر الزينة، والمكث في البيت، وعدم الخروج منه إلا للضرورة، ولبس السواد ليس من الإحداد بل هو من عادات النصارى.

الوصية الثانية والخمسين

تحريم سؤال العراف والكاهن

عن صفية بنت أبي عبيد رضي الله عنها عن بعض أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **"من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"**. [٢]وفي رواية: **"من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد"**. [٣]

العرّاف هو الذي يدعي معرفة مكان المسروقات، ويشمل ذلك أفعال الكهانة. والنهي يشمل التعامل مع هذه الفئة الضالة بكل شرائحها، وإن تصديق هؤلاء يبطل

---

1 (متفق عليه رواه البخاري في كتاب الجنائز – باب حد المرأة على زوجها – وورواه مسلم في كتاب الطلاق – باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة).

2 (رواه مسلم).

3 (مسند أحمد).

ثواب العمل، بل هو نوع من الشرك لأنه إيمان بأنهم يملكون ضراً أو نفعاً من دون الله، واقتناع بأنهم يعلمون بعض الغيب الذي اختص الله به نفسه.

ويشمل النهي كل أضراب ذلك في زماننا من قراءة الأبراج والودع والكف والفنجان، وأشده إتيان السحرة والمشعوذين لعمل التمائم والأحجبة وغير ذلك من أعمال الكفر والشرك والإضرار بالناس.

الوصية الثالثة والخمسين

تحريم التماثيل والتصاوير

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهْوةً لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلوّن وجهه، وقال: **"يا عائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله".** [١]

السهوة: كأنها فتحة أشبه بباب أو نافذة، والقرام: ستر رقيق كأنه ستارة، والتماثيل: هي الصور وهي تطلق على المنحوت من صور الأحياء والمرسوم على اللوحات، يضاهون بخلق الله: أي يشبهون ما يصنعونه بما يصنعه الله.

انتشرت في بيوت المسلمات هذه الأيام الصور المنهي عنها بأنواعها من تماثيل (لها ظل) منحوتة لبشر أو طير أو حيوان، ومن لوحات جدارية عليها صور الزعماء والقواد أو أفراد العائلة أو المخلوقات التي فيها الروح كالخيول والطيور ونحوها.

إن الغضب الشديد لرسول الله ﷺ لما رأى صوراً على ستارة في بيت النبوة، وتمزيقه تلك الستارة، ليؤكد تغليظه تحريم ذلك الأمر خاصة وأنه يعلم أن ملائكة الرحمن لا تدخل البيوت التي فيها مثل هذه التصاوير. فينبغي على كل مسلمة صالحة أن ينفر طبعها من تلك الصور، وأن تخرجها من بيتها لتأذن لملائك الرحمن بالدخول، فإن بيتها بحاجة أن تغشاه الرحمة وتتنزل عليه البركة بحف الملائكة له.

---

1 (متفق عليه رواه البخاري في كتاب اللباس – باب ما وطئ من التصاوير – ومسلم في كتاب اللباس – باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة).

وعليها أن تنتقي في هداياها لأقاربها وجيرانها ما ليس فيه صور حتى لا تسبب لهم الأذى والإثم.

الوصية الرابعة والخمسين

طول ثوب المرأة وحكم تنجسه

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: "**من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال:** "يرخين شبراً". **قالت: إذا تنكشف أقدامهن. قال:** "**فيرخينه ذراعاً لا يزدن**". [1]

الحديث في الإذن للنساء في إطالة أثوابهن قدر ذراع من أذيالهن إلى الأرض من أجل ستر ظهور أقدامهن.

لكن السؤال ما هو حكم ثوب المرأة الذي يجر على الأرض فتناله بعض النجاسات في الاسواق والطرقات، لقد سألت امرأة أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: إني أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر؟ فقالت لها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يطهره ما بعده**". [2]يعني يطهره التراب الذي بعده.

الرسول يضع قواعد لحفظ البيوت ووقايتها

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "**لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون**". [3]

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "**غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، وأغلقوا الأبواب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاءً، ولا يفتح**

---

1 (رواه أبوداود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

2 (رواه أحمد وأبوداود).

3 (متفق علي، رواه البخاري – كتاب الاستئذان – باب لا تترك النار في البيت، ورواه مسلم – كتاب الأشربة – باب الأمر بتغطية الإناء).

باباً، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يَعْرُضَ على إنائه عوداً، ويذكر اسم الله فليفعل: فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم". [١]

وتغطية الإناء يقصد بها كل إناء طعام، والسقاء: وعاء للماء أو اللبن مصنوع من جلد واللفظ يعم كل ما يوضع فيه ماء أو موائع أخرى كالزيت والعسل وغيرهما، ووكأ السقاء: أي ربطه، ومن معاني الربط كذلك تغطية كل وعاء للماء. والفويسقة: هي الفأرة، وتضرم: أي تشعل.

في الحديثين السابقين قواعد للسلامة من حوادث الاحتراق والسرقة وقواعد للوقاية من عبث الشياطين والهوام والحشرات والجراثيم، ويمكن أن نبين هذه القواعد من خلال وصايا محددة:

الوصية الخامسة والخمسين

التبرك باسم الله عند كل عمل

التسمية عند وضع الأشياء ورفعها واستعمالها، وعند صب الماء وطهو الطعام وتقديمه، إن من شأن ذلك أن يصرف حضور الشياطين، وأن يجلب البركة والخير على البيوت وإن هذا السلوك من الأبوين والكبار كفيل بأن يغرس في الأطفال الإيمان بالله والثقة به والتوكل عليه وأن يورث قلوبهم التصديق الجازم بحقائق الغيب.

الوصية السادسة والخمسين

إطفاء النار والسراج قبل النوم

عدم ترك نار مشتعلة عند النوم أو الخروج من البيت أو الانشغال عنها، سواءً كانت للاستضاءة أو التدفئة وكما أن هذا ينطبق على الوسائل القديمة للتدفئة والاستضاءة فهو ينطبق على الحديث من هذه الوسائل كموقد الغاز أو مدفأة الغاز

1 (رواه مسلم – كتاب الأشربة – باب الأمر بتغطية الإناء).

أو الكيروسين. إن استعراضنا لحوادث الاحتراق والاختناق المنزلية ومعظمها يحدث وأهل البيوت نيام ليؤكد أهمية الالتزام بهذا الهدي النبوي.

الوصية السابعة والخمسين

إغلاق الأبواب

إغلاق الأبواب الخارجية منعاً للصوص والفسقة من دخولها، فالأبواب الخارجية المفتوحة تطمعهم في اقتحام البيوت، وأما أبواب الغرف الداخلية، فحتى لا يدخل من لا يجب أن يطلع على عورات النائم إذا تكشفت، وبهذا تهدأ نفس النائم.

الوصية الثامنة والخمسين

تغطية أوعية الطعام وآنية الشراب

تغطية أوعية الطعام وآنية الشراب، حفظاً لها من الشياطين والهوام والحشرات والجراثيم. وإن لم يجد المرء أغطيتها المحكمة فليغطها بما تيسر ولو كان عودا من خشب أو نحوه مع ذكر اسم الله فإن الله هو الحافظ وليس الأغطية.

إن قارىء الأحاديث السابقة ليعجب من حرص الرسول ﷺ على أمته حتى أنه يعلمها دقائق الأمور التي تصلح دنياها، إنه كما وصفه ربه عزوجل: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة: 128).

الوصية التاسعة والخمسين

ثواب أعمال الطفل تعود لأبويه

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالروحاء فقال: "من القوم؟" قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: "رسول الله"، فرفعت إليه امرأة صبياً فقالت: ألهذا حجّ؟ قال: "نعم، ولك أجر". [1]

---

[1] (رواه مسلم في كتاب الحج – باب صحة حج الصبي وأجر من حج به).

الروحاء: مكان قرب المدينة.

يستفاد من الحديث أن المرأة إذا كانت سبباً في طاعة أو أعانت عليها لها من الأجر كما لو أنها قامت بها. فهي إذا حجَّت وأخذت أطفالها الذين لم يبلغوا الحلم معها، لأنها لا تستطيع تركهم فإن لها ولزوجها أجر حجِّهم، والأطفال كذلك يؤجرون على ذلك لكن لا تسقط عنهم حجة الإسلام لأن البلوغ شرط للحج، وأُحسِنُ الظن بالله عزوجل فأقول أن ما ينطبق على حج الصغار ينطبق على سائر الأعمال الصالحة فلو علَّمِت المسلمة طفلها الوضوء والصلاة، ولو جلست تحفِّـظُه من كتاب الله أو تعلمه التسبيح والتهليل والتحميد فإن لها الأجر في ذلك، بل إن ثواب أعماله حتى يموت تكتب لها بإذن الله، وكم يزيد هذا الأمر من حبنا لله الذي وسعت رحمته كل شيء، وسعت نعمته إلى كل حي، ونفهم من ذلك معنى اسم من أسماءه الحسنى وهو الشكور بمعنى أنه يشكر عباده على أفعالهم القليلة بالجزاء والثواب العظيم، فلله تعالى الحمد والمنة والفضل.

الوصية الستون

كيف تصير الزوجة من المرحومين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح رشَّ ماءً خفيفاً في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**". [1]

ما أجمل أن تصل العلاقة بين الزوجين إلى هذه القمة السامقة وهذا الأفق المضيء بالنور، إن وصول الزوجين لتحقيق هذه الوصية النبوية (اللهم نسألك أن ترزقنا إياها) يعني أن الدنيا بالنسبة إليهما ليست هي نهاية المطاف وأنهما يخططان للوصول لمراتب عليا في الدار الآخرة، إن زواجهما سيكون بذلك سرمديا حتى يلقيا ربهما وهو عنهما راضٍ فيأخذا بيد بعضهما بعضاً ليدخلا دار السلام.

---

1 (رواه أبوداود بإسناد صحيح).

الوصية الحادية والستين

الاقتصاد في الطاعة

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة. قال: من هذه؟ قالت: هذه فلانة تَذْكُرُ من صلاتها. قال: "**مه. عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا. وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه**". (١)

تذكر: أي تذكر المرأة لعائشة كثرة عبادتها وصلاتها. مه: اسم فعل يفيد الزجر والنهي، (لا يَمَلُّ): من الملال وهو استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته، وهو محال على الله تعالى، وإنما أطلق من باب المشاكلة اللفظية أي مشابهة اللفظ الأول وهو ملل الانسان، مثل قوله تعالى: "**قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**" ومعنى (لا يمل الله) أي لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم، ويعاملكم معاملة المالِّ حتى تملوا فتتركوا، فينبغي أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ﷺ: "**حُلّوه. ليُصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**". (٢)

الوصية الثانية والستين

ذكر الله خير الأعمال

عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بُكْرةً حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: "**مازلتِ على الحال التي فارقتك عليها؟**". قالت نعم. فقال النبي ﷺ :

---

1 (متفق عليه – رواه البخاري في كتاب التهجد – باب ما يكره من التشدد في العبادة – ورواه مسلم في كتاب المسافرين – باب أمر من نعس في صلاته).

2 (متفق عليه – رواه البخاري في كتاب التهجد – باب ما يكره من التشدد في العبادة – ورواه مسلم في كتاب المسافرين – باب أمر من نعس في صلاته).

"لقد قلتُ بَعدك أربعَ كلمات ثلاثَ مراتٍ، لو وُزِنَت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنةِ عرشه، ومداد كلماته". [١]

صلت أمنا جويرية بنت الحارث رضي الله عنها صلاة الفجر في مسجدها أي في موضع صلاتها في بيتها وجلست تذكر الله عزوجل حتى أضحت، لأنها تعلم أن حياة النفوس في ذلك ومعية الله للمؤمن في ذكره لربه عزوجل قال تعالى : ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ (البقرة: 152).

لقد علمها رسول الله ﷺ كلمات خفيفة على اللسان، لكنها أثقل وزناً من غيرها من الذكر وكيف لا وهي كلمات تقدس الله وتعظمه بما يستحقه، ولأن الإنسان لا يستطيع أن يحصي لله تمجيداً وتعظيماً، ولا يقدر أن يوفي الله حقه من التسبيح والإجلال فإن هذه الأذكار النبوية، ردت الأمر لله عزوجل الذي لا نحصي ثناءً عليه كما أثنى هو على نفسه (سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته).

جدير بالمرأة المسلمة المعاصرة أن تطلق لسانها بذكر الله وأن تكون في زمرة السابقين الأوائل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : **" سبق المفردون"** ، **قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : "الذاكرون الله كثيراً والذاكرات".** [٢]

إن كثرة ذكرها لله لتعصمها من آفات اللسان من غيبة ونميمة وثرثرة ولعن وشتم وغيره من الكلام الذي يترتب عليه الحساب الشديد، وإن الذكر ليورث قلبها الطمأنينة والسكينة ويلهمها حسن التصرف، ولو لم يكن في الذكر إلا صفة واحدة وهي معية الله وذكره لعبده الذاكر لكفت، فقد ورد في الحديث القدسي **" أنا عند حسن ظن عبدي**

---

1 (رواه مسلم في كتاب الذكر – باب التسبيح أول النهار وعند النوم).

2 (رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء – باب الحث على ذكر الله).

بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم". [١]

كم يكون للمرأة المسلمة من الدرجات وذكر أهل السماء لها ومباهاة الله عزوجل بها ملائكته إذا ذكرت الله وهي بين جارات غافلات عن ذكر الله مقبلات في أحاديث اللهو الفارغة التي لا تخلو من الإثم. ثم إنه بذكر المرأة لربها فإنها تحيي بيتها فقد روى أبوموسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذْكَرُ الله فيه مثل الحي والميت".** [٢]

ثم إن ذكرها لله من أهون العبادات لأنه لا يتطلب كيفية معينة ولا طريقة محددة، وما لم يكن تلاوة لكتاب الله وهو أجلّ أنواع الذكر فلا يشترط فيه غُسل ولا وضوء، والرسول ﷺ كان يذكر الله في سائر أحواله. فكم هو هيّن على المرأة المسلمة الصالحة حية القلب أن تتلو ما تحفظ من كتاب ربها وهي ترتب بيتها، أو تصلح شأنه، وبوسعها سماع تلاوته من خلال الأشرطة، وكم هو هين عليها أن تطلق لسانها بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والصلاة على نبيها محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم حتى وهي جنب أو حائض.

بل إن ذكر الله عزوجل من أعظم ما يساعد المرأة في شؤون بيتها وخدمة زوجها وأطفالها، وهو خير لها من خادم كما مرّ معنا في حديث سيدتنا فاطمة رضي الله عنها وأرضاها لما طلبت من أبيها المصطفى ﷺ خادماً، فدلها وزوجها علي رضي الله عنه وأرضاه على التسبيح والتحميد والتكبير.

أختاه جربي ذلك وذوقيه فمن ذاق عرف، ألا ترين أن السعادة الحقيقية التي ذاقتها أمنا جويرية بنت الحارث رضي الله عنها في ذكر الله عزوجل هي التي حملتها على الجلوس دون فتور أو سأم من الفجر لوقت الضحى وهي مشتغلة بالذكر.

---

1 (متفق عليه).

2 (رواه مسلم).

البشرى الأخيرة

المرأة الصالحة تدخل من أي أبواب الجنة تشاء

عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ : "**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت**". (١)

أيتها الأخت المسلمة أن نبيك وحبيبك محمد ﷺ يرغبك في الصبر على العمل الصالح حتى تلقينه على حوضه وتشربي من يده الشريفة شربة لا تظمأي بعدها أبداً.

أعدّي لذلك اليوم بالتزام طاعة الرحمن واتباع النبي الصادق العدنان, واحرصي على مخالفة الشيطان، وتجنب معاصي الجوارح وآفات اللسان.

واعلمي أننا رجالاً ونساءً مقبلون على يوم عظيم، الأمر فيه شديد والمرحوم من رحمه الله ونجاه، فعن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**يُحشَر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلا**" (غير مختونين) قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: "**يا عائشة، الأمر أشد من أن يَهُمَّهُم ذلك**". (٢)

وبهذا التذكير النبوي نختم هذا الكتاب، لعله يكون مسك الختام وذكرى لكل أخت مسلمة لها قلب أو ألقت السمع وهي شهيدة أن تضع دائماً في حسبانها ذلك اليوم الشديد الذي يذهل الرجال والنساء فيه عن عوراتهم المتكشفة، "**فالأمر أشد من أن يهمهم ذلك**"، ولتعلم أنها واحدة من أهل الحشر فإما إلى جنة عرضها السماوات والأرض تدخلها وتنال رضوان الله، أو نار مستعرة وعذاب مقيمان وسخط من الله أعاذنا الله وإياكم من حال أهل النار.

اللهم نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

1 (مسند أحمد).

2 (البخاري في كتاب الرقاق – باب كيف الحشر).

مراجع الكتاب

- في ظلال القرآن، سيد قطب
- مختصر تفسير ري الغليل في محاسن التأويل، للقاسمي
- نزهة المتقين في شرح رياض الصالحين، د. مصطفى سعيد الخن و د. مصطفي البغا
- فقة السنة، سيد سابق
- نظرات في السنة.. قضايا تهم المرأة، حجازي إبراهيم
- صحيح البخاري وصحيح مسلم وكتب السنن

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	5
الرسول يوصي المرأة بزوجها خيراً	7
أي الناس أعظم حقاً على المرأة	7
عدم الامتناع عن فراشه	8
آفات الرجال	11
استئذان زوجها قبل أن تصوم	12
لا تخرج إلا بإذنه	12
رعاية الزوج وبيته	15
عدم إيذاء المرأة زوجها	19
عدم نكرانها خيره	20
حفظ الزوج في الغيب	20
حسن تبعل المرأة يعدل جهاد الرجل	21
أجر المرأة إذا تصدقت على زوجها	22
ما نقصت صدقة من مال	25
أجر رعاية المرأة لبناتها	26
صلي والديك وإن كانا كافرين	27
إكرام الجارة لجارتها	28
ماذا تصنع المرأة في زوجها الشحيح ؟	29
قرار المرأة في بيتها	30
تغليظ تحريم تطيب المرأة خارج بيتها	32
تحريم مصافحة الرجال	32
تحريم الخلوة بالرجال	33
تحريم نظر المرأة لعورة المرأة	34
نهي النساء عن تغيير خلقتهن	35
لعن النساء المترجلات	39
تحريم وصل الشعر	37
النهي عن خضاب الشعر بالسواد	38
النهي عن نتف الشيب	39
تحريم استخدام آنية الذهب والفضة	40
التحذير الشديد من الغيبة	41

الموضوع الصفحة

النهي عن فحش القول 43
النهي عن التباهي الكاذب 44
النهي عن وصف ما يحدث في المخدع 45
النهي عن وصف محاسن امرأة 47
النهي عن لعن سائر المخلوقات 48
النهي عن الطلب الطلاق 50
الحياء لا يمنع من التفقه في الدين 51
هل تحتلم المرأة ؟ 52
هل تنقض المرأة ضفيرتها عند الاغتسال 54
إذا حاضت المرأة في الحج 55
قراءة القرآن في حجر الحائض 56
علاقة الرجل بامرأته في حيضها 56
كيف التطهر من الحيض 58
الاستحاضة 59
أحكام تتصل بالاستحاضة 61
تحريم سفر المرأة وحدها 62
بشرى لمن مات لها أولاد 63
الصبر عن الصدمة 64
تحريم النياحة والتسخط على القدر 65
النهي عن اللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونشره 66
ماذا تقول المرأة عند المصيبة 67
تحريم سؤال العراف والكاهن 68
تحريم التماثيل والتصاوير 69
طول ثوب المرأة وحكم تنجسه 70
الرسول يضع قواعد لحفظ البيوت ووقايتها 70
التبرك باسم الله عند كل عمل 71
إغلاق الأبواب 72
ثواب أعمال الطفل تعود لأبويه 72
كيف تصير الزوجة من المرحومين 73
الاقتصاد في الطاعة 74
المرأة الصالة تدخل من أي أبواب الجنة تشاء 77